روايات رومانسية عالمية
عبير
نيرينا هيليارد
مَا أقصَر الوَقت!
www.liilas.com/vb3
عهود وفاء
مكتبة مدبولي

مَا أقصَرَ الوَقت!

قبضة القدر حاسمة تنهال على الانسان بقسوة او بحنان لا يوصف . وهذه قصة الممرضة مورغانا فاي كارول التي يشبه اسمها اسماً اسطوريا في حكاية الملك أرثر الشهيرة ، لكنها لم تكن تشبه المرأة القوية كما في الاسطورة ، بل تركها الانفصال عن خطيبها فيليب مذهولة فلطمتها سيارة ... ولما لم يبق لها في الحياة سوى ثلاثة أشهر قبلت الذهاب الى جزيرة خواماسا المشمسة مع مريضة صادفتها في المستشفى حيث تعمل . هناك التقت ثلاثة اشخاص : سيد الجزيرة المركيز الغريب والطبيب الغامض الذي يخفي سراً وراء عمله في تلك الجزيرة ... وايضا خطيبها السابق ... فكيف تواجه قدرها مرّة أخرى وهل تتغير مسيرة عمرها القصيرة

١ - فيليب وفاليب

يهطل الرذاذ الرمادى المزعج جاعلا المنظر وراء النافذة اكثر رطوبة وكآبة من العادة. وهو منظر لم يكن يوما مثيرا لأعجاب أحد، بأى حال. أشاحت نيستا بوجهها عن هذا المشهد الكئيب، واجتاحها الشوق الى سماء خواماسا الزرقاء الخالية من الغيوم، وقبابها، وأسوارها البيضاء المنتمية الى الفن المعمارى البرتغالى، تلمع فى أشعة الشمس الذهبية. ذات يوم، لم تكن تميل الى تلك الابنية القديمة على الرغم من جمالها الصافى، وهى الآن موطنها، بينما باتت بريطانيا، حيث ولدت، غريبة نسبة اليها. وفى لهجة طيبة تذمرت قائلة:

« ياله من مناخ متقلب!»

التفتت اليها الممرضة الشابة التى كانت توضب شراشيف السرير مجيبة:

« يبدو انك ما عدت تعتبرين نفسك انكليزية بتاتا يا آنسة برونون.»

وانتصبت الممرضة، جينى مارسدين، واقفة، تسوى مريولها الابيض الناصع وتضيف: « أحيانا، انا نفسى احسدك على جزيرتك المشمسة.»

وقبل ان يتسنى لنيستا الاجابة ظهر فى الباب ممرضة أخرى، قبعتها البيضاء المنشاة وبزتها الزرقاء الغامقة ومريولها الابيض، من شأنها ان توحى لمن يعرف مستشفى سانت كريستوفر انها ممرضة ذات رتبة مرموقة. لكن بالنسبة الى نيستا ليس هذا وحده ما لفت انتباهها. هناك شىء آخر أثارها، علما بأنه لاسبب لذلك من الوهلة الاولى، فلم تكن الفتاة بجمال السمراء الصغيرة جينى مارسدين — او لعلها كانت؟ ربما هناك شىء يتخطى الجمال بحد ذاته. فملامح الفتاة الشاحبة شحوب ما بعد المرض، أضفت عليها سحرا فاتنا، وهدباها الكثيان الناشئان، الطويلان، يلقيان نظرة ارتياب الى العالم، كأنهما يخفيان سرا لا يباح، وراء جبينها الابيض الناعم. وفى نزوة غير متوقعة، تخيلتها نيستا فى ملابس فضفاضة من القرون الوسطى، كساحرة جميلة، بدلا من ملابس الممرضة ذات الطابع الرسمى وبصوت رقيق لايخلو من رنة باطنية

زادت في قلق نيستا بلا سبب واضح، قالت لجيني :

« عندما تنتهين تريدك رئيسة الممرضات فى المكتب. »

« حسنا، اجابت جيني، تقريبا انتهيت. »

وانسحبت الممرضة ذات العينين البنيتين بانحناءة من رأسها وابتسامة شملت المريضة وغابت في صمت كما جاءت. قالت نيستا مندهشة وهي ما زالت تراقب المدخل لعلها تحظى بلمحة من الفتاة: « من تكون؟ »

قالت جيني بصوت خفيض: « انها الممرضة مورغانا كارول »

وخيل الى نيستا أن جيني متحفظة فى ردها، فانطلقت قائلة بشعور يصعب تفسيره: « هناك شيء ما حولها... » وأضافت: « كأنها تبتسم فى وجه الموت. »

قالت جيني: « الاتعرفين... ؟ »

وتوقفت فجأة كأنها تبينت ان ما ستقوله لن يروق لتلك الممرضة النحيلة المديدة القامة. وبحركة آلية غادرت قائلة:

« ياالهي، يجب ان أسرع، رئيسة الممرضات تسخط اذا جعلتها تنتظر. »

باتت نيستا متجهمة الوجه بعدما وجدت نفسها وحيدة فى الغرفة. حاولت في حذر شديد تحريك ساقها المصابة تحت الغطاء. يالها من وقعة بعد غياب ١٥ سنة عن بريطانيا وفى زيارتها الاولى، اصابها التهاب فى الرئة وأسقطها الدوار عن السلم فكسرت ساقها قبل ان تدرك أهمية مرضها. التهاب الرئة والكسر في الساق وضعاها في حالة سيئة، لكن شعورا غريزيا أخبرها ان ما يجول فى رأس تلك الممرضة الصغيرة أخطر كثيرا من حالتها. وكأنما افكارها استحضرت الفتاة فعادت الممرضة كارول الى الغرفة من دون ان يخطر لها ان نيستا كانت تفكر فيها على هذا الشكل.

وقع نظر كارول على امرأة فى حوال الخامسة والاربعين من عمرها، شيب شعرها سابق لأوانه، ويبدو انها طويلة القامة رغم استلقائها فى السرير. قالت كارول بصوتها الناعم الجذاب: « صباح الخير آنسة بروتون ، انا مكلفة تمسيد ساقك ، فأرجو ان تحتملي ذلك. »

وابتسمت نيستا وقالت : « اتوقع أن أحتمل »

ومالت برأسها هاجسة وأردفت: « لا أظنني رأيتك قبل أن أمحك منذ قليل؟ »

أشارت كارولين برأسها مجيبة : « لا أعتقد. لأنني كنت مريضة »

كان صوتها متساويا ، صحيحا فوق العادة ، وكانت نيستا متأكدة من وجود

شيء تحت هذا الغطاء الظاهر.

اضافت كارول: «رجعت للتو الى عملي.»

وهي تنزع الغطاء الذى وضعته رفيقتها منذ فترة وجيزة. لم ترفع نيستا نظرها عن رأس الممرضة المنحنى، بينما راحت الاصابع الحازمة والرقيقة تدلك ساقها المعطوبة. ترى ماذا يخفى هذا القناع الباهت من رباطة الجأش؟

قالت نيستا: «اخبريني ايتها الممرضة، كيف يمكنك ان تحافظى على هذا المنديل برصانة فى مكانه؟»

ابتسمت كارول من دون أن توقف عملها وأجابت:

«انها الممارسة والخبرة القديمة. عندما كنت في طور التدريب كانت رئيسة الممرضات توبخنى دائما بسبب قبعتى. والمنديل أسهل بكثير لكنه يمكن ان يؤدى الى مضايقات احيانا.»

فكرت نيستا انها كفؤة ومحايدة بشكل لطيف. لكن الاتوجد طريقة للوصول الى ما تحت الغطاء؟ ومن حيث لاتدرى خطر لها ان تقول:

«احيانا افكر ما قد يقوله فاليب عن الممرضات هنا.»

«فاليب؟» قالت كارول من دون ان ترفع رأسها. وبالكاد سمعت الاسم. اذ كان عليها ان تركز بقوة على ما تقوم به لكلا تنزلق افكارها الى ما اطلعت عليه فى مكتب مارتون، رئيسة الممرضات -- وهى لا تريد التفكير فيه، حتى تحين لحظة مواجهة الواقع.

«انه الماركيز فاليب مانويل رويث دى الفيرورياالتا.»

لفظت نيستا كلمات الاسم باعتداد ذاتى واضح لأنها كانت تعلم انه اذا كان من شيء يمكن ان يكسر الجليد بينهما فهو هذا. وبالفعل حصلت على ما أرادت عندما رأت الممرضة الشابة تنظر اليها مضطربة من خلال سيطرتها على هدوئها لتقول ببرود: «ياالهى، من يملك اسما كهذا؟»

اجابت نيستا: «انه سيد خواماسا.»

وعيناها الزرقاوان تلتمعان. واضافت: «فاليب لا يؤمن بعمل النساء واستقلالهن.»

عادت كارول الى التدليك وعلى شفتيها شبح ابتسامة ساخرة وقالت: «انه أحد اولئك العتاق الذين يفكرون بأن المطبخ والزواج مهنة المرأة الوحيدة.»

واتسعت الابتسامة فى عينى نيستا وهى تفكر بأن كارول من نصيرات تحرير

المرأة. ربما يكون موقفا مثيرا لو التقت كارول بسيد خوماسا الرائع.

عاد قناع الحزن ينتاب وجه الفتاة. وعرفت نيستا ان كارول تهجس من جديد بالشيء الذى يعذبها فأكملت مصممة على تبديد تلك الكآبة ولو لوقت قصير: « قليلون من الرجال ما زالوا يفكرون هكذا كما أظن. » وأضافت: « لكنهم يخفون رغبة في الحماية والعطف »

اجابت كارول : « ربما كذلك . »

ولم يكن ذهنها كله مركزا على هذا الموضوع. ثم اضافت:

« ما هي جنسية سيد خوماسا هذا، بأسمه الطويل العريض؟»

« برتغالى . »

أومأت كارول برأسها كأنما ذلك يفسر كل شيء، وانحنت من جديد على عملها. انه واحد من اولئك اللوردات الاقطاعيين القدماء الذين مازالوا يعيشون فى مناطق غير عصرية من العالم. وتساءلت جزافا حول موقع خوماسا، غير ان تشتت افكارها اعادها الى الشيء الذى لا تريد التفكير فيه.

قالت نيستا وفى صوتها شيء من المداعبة: « انك لاتبدين اهتماما بالموضوع» واضافت :« غريب – معظم الفتيات يعجبهن فاليب.»

اصطنعت كارول ابتسامة خافتة. فربما من زمان كان يهمها ان تعرف شيئا حول نبيل برتغالى يملك جزيرة فى مكان او آخر، غالبا فى خط الاستواء وتدعى خواماسا، لكنها الآن لا تستطيع ان تشعر بأى فضول. « فيليب » كان الرجل الوحيد الذى شغل عقلها وعلى الرغم من التشابه فى الاسمين فلا شيء يجمع بين فاليب وفيليب.

قالت كارول بابتسامة ونظرة خاطفة: « يمكنك الاستمرار فى الحديث عنه» ثم اضافت: « ذلك يساعدك على صرف انتباهك عن الألم.»

وعن شيء ما يدور فى خلدها فكرت نيستا بشراسة بينها وبين نفسها. ثم قالت بصوت مرتفع :« جاءت عائلته الى الجزيرة فى اوائل القرن السابع عشر وبالطبع جلبوا معهم كل اتباعهم. واكتشفوا مدينة لورنزيتو وشيدوا فيها قصر البالاسيو.»

رفعت كارول حاجبيها قليلا. ففى النهاية، ورغم ما يجول فى خاطرها انه شيء مثير هذا النبيل البرتغالى الذى يعيش فى مكان يدعى بالاسيو.

« اكملى

قالت بضحكة خافتة واضافت: « انت على حق - بدأت اهتم بالموضوع.»
أخفت نيستا ارتياحها واستطردت متفادية ان تكون لهجتها كدليل سياحي:
« البالاسيو بناء جميل ومخيف حسب اعتقادى. لكن فاليب ينسجم والقصر تماما.»
اردفت كارول : « ربما لأنه هو أيضا مخيف؟»
وافقتها نيستا قائلة:
« اعتقد ذلك. انه لايملك معظم اراضي الجزيرة وحسب، بل لديه ممتلكات فى البرتغال كلها وفى اماكن اخرى من العالم على ما اعتقد.»
ابتسمت كارول لنفسها، اذ بدأ الامر يبدو كحكايات الجن لكن فى الخرافة يكون الامير شابا وجذابا والواقع لابد انه فى خريف العمر، سمين، ولديه معدة كبيرة وربما على وشك الصلع.
فى آخر هذه الادانة ابتسمت كارول لنفسها باستغراب وتساءلت: « لماذا تشكلت تلك الصورة التى بقيت فى ذهنها برهة. وعندما انتهت من غرفة نيستا خارجة الى الجناح، تناسته بسرعة.
وصل الخبر بصورة ما الى المرضى. لا احد يعرف كيف، مثل طبول الادغال التى لا يمكن تجاهلها. وكانت كارول منتبهة اليهم يراقبونها تسير فى طول جناح المستشفى قبل ان تغادره فى نهاية يوم العمل. كانت تحس عيونهم تطاردها ولم تكن شفقتهم فى موضعها مع انها نابعة من تأييد داخلى لها، مصدره آلامهم بالذات.
« ايتها الممرضة!»
ترددت كارول عندما سمعت صوت امرأة تناديها ثم التفتت نحوها، واصدرت تنورتها المنشاه حفيفها المعهود. وارتدى وجهها ابتسامة وظيفية براقة لاتشبه ابدا ابتسامتها الفاتنة المعروفة. وتساءلت: « كيف حالك ياسيدة روبنسون؟ ثم اضافت: « هل كل شيء على ما يرام؟»
اجابت السيدة روبنسون : « انا على مايرام.»
غير ان نبراتها الطفيفة أوحت ان شيئا آخر يهمها. وعرفت كارول ما هو. لك من الصعب عليها ان تقطع الحديث وتكمل طريقها، ولو كان ذلك ممكنا لفعلته. كان فضول السيدة روبنسون قاتما الى حد لم تعد معه قادرة على الاحتمال، ذلك الصباح. مع ذلك لا يمكن تجاهلها ،هى تحدق فيها

بعينين ثاقبتين كأنها تريد اختراق ذلك الجبين الابيض لترى السر المميت وراءه.

« هل صحيح...؟ »

غير ان السيدة روبنسون خانتها شجاعتها ولم تكمل. فأردفت كارول بالنبرة نفسها:« هل تعنين اننى سأموت فى ثلاثة أشهر؟» واضافت:« نعم صحيح وهناك منطقة ضغط فى دماغى لايمكن ازالتها.» ثم ابتسمت بتهيب وهى تكمل دربها خلال الممر الطويل.

المطر مازال ينهمر رذاذا رماديا خارج زجاج المهجع الصغير حيث تنام كارول مع رفيقتها جينى. وبالرغم من جلوسها قرب الستارة المكشكشة التى تجعل الغرفة اكثر إلفة، لم تكن كارول تعى شيئا عن هطول المطر فى الخارج.

الى متى ستظل قادرة على اكمال العمل وسط اجواء الفضول والعطف؟ ليس الجميع مثل السيدة روبنسون. بل كان عطف معظم المرضى انها لاتريد الشفقة، لاتريد العيون تنصب عليها كلما جاءت الى الجناح، فتعرف انهم يفكرون : ها هى الفتاة التى ستموت بعد ثلاثة أشهر. وتبين لها انها بدأت بالفعل تكره اولئك المرضى الذين يشبهون السيدة روبنسون لأنهم جعلوها تشعر بالغربة وبضرورة الابتعاد عن العلم وهم يهمسون خفية او يثرثرون فيما بينهم. لم يكن بملىء اختيارها هذا الضغط القاتل على الدماغ، بل بسبب غبائها، ومازال لحظة معرفتها بالامر ماثلة امامها فى رهبة مرعبة. كان هناك صمت فى الغرفة، ليس صمتا ممضا او متوترا. انها وطأة الماضى. كل الكلمات قيلت وأسوأ ما فيها بات معروفا. بياض وجهها لم يتغير فى أى حال. كان خاليا من الانفعال، وعندما رددت كلمات الطبيب فاجأها هدوء صوتها:« لا أمل ابدا؟»

قال الطبيب:« ليتنى استطيع تقديم بعض الأمل. ولكن...» كان صوته عميقا يحاول ان يكون جازما، لكنه انسانى الى أبعد الحدود. واضاف:« من القسوة ان أخبرك بهذا الشكل، لكن يكون الأمر اسوأ لو اخفيته عنك. فهكذا بمكنك ان تقررى ما يمكنك فعله.. بالوقت الباقى.»

واستدار نحو النافذة يحدق فيها، بينما وجدت كارول اهتماما عابرا فى التحديق بتجاعيد سترته البيضاء الناصعة، حتى التفت نحوها مرة ثانية قائلا:

« حسب معرفتى، ان الجراحة اللازمة لم تحصل سوى مرة واحدة كتجربة وما صدق أحد انها ستنجح.»

« وهل نجحت ؟ »

« نعم .. ولا. فالعملية بحد ذاتها يبدو انها نجحت -- غير ان الفتاة ماتت بعد ساعات قليلة، ربما بسبب عدم قدرتها على الاحتمال. غير ان الجراح وضع اللوم على نفسه، اذ كانت المريضة شقيقته. وتوارى ... البعض يقول انه انتحر.» ثم اضاف :« كان الوحيد الذى يمكن ان يساعدك.. لكن احدا لا يعرف مكانه، وربما مات كما يظن كثيرون.»

« فهمت. وهذا ينهى كل شىء، اليس كذلك؟»

مرة ثانية فوجئت بهدوء القبول فى صوتها، ثم تبددت المفاجأة. فالمرضى من هذا النوع يظهرون بمظهر الخبال عندما تواجههم الحقيقة التى لابد منها، لم تكن هناك اسئلة حارة فى خلدها، كما حدث لها عندما تلقت رسالة فيليب، حتى انها ضحكت. وتذكرت كلمة بكلمة ما قالته.

«طريف» ، لاحظت لنفسها بتعجب. «فكرت اننى عندما فقدت «فيليب سأموت، لكننى لملمت نفسى ووجدت ان الحياة تسير رغم كل شىء.»

اما الآن فتبين لى انها لاتسير. فقدت «فيليب»وبعد ثلاثة أشهر سأموت.»

«وفيليب» سألها الطبيب.« هل تريدين تبليغه؟»

«كلا، لا أعتقد.» واضافت:« الامر لم يعد يعنيه. كنا مخطوبين وافترقنا.»

وعادت بها الذاكرة الى اليوم الذى تلقت فيه الرسالة الحاسمة. لم يكن قابلا للتصديق انه بدأ مثل كل يوم اربعاء. وجدت نفسها منبوذة. الرسالة تقول ذلك بكل وضوح وبدون اى ظرف. لم تكن اول فتاة يحصل لها هذا ولن تكون ابدا آخر واحدة، لكنه شىء خيل اليها انه يحصل دائما فى الكتب، او لفتاة يعرفها الواحد او يسمع عنها.

قبل وفاته قال لها والدها:« لا تفقدى الايمان بالحياة.»

وكان من الصعب ان تحافظ على ذلك الايمان لدى وصول الرسالة التى اخبرها انها لم تعد تنتمى الى فيليب، وانه يريد فتاة اخرى. وهى ترعرعت معه، احبته منذ الطفولة وعشقته كامرأة. وجاءت الرسالة تأخذ الحب. ثم جاء الحادث يأخذ الحياة. عضت على شفتيها حين فكرت بكل ذلك، أما جينى التى كانت تكتب رسالة فالتفتت نحوها وعلى جبينها علامات القلق، لتقول:

« هل انت بخير، ياكارول، أعنى...» ثم سكتت، مستغربة برغم انهما صديقتان منذ مجيئها الى مستشفى سانت كريستوفر. والتفتت كارول مبتسمة

وقالت مطمئنة رفيقتها:

« انا بخير.» ثم اضافت:« لن أشعر بألم لبعض الوقت كما تعرفين.»

لن يكون هناك ألم حتى النهاية تقريبا. من دون انتباه عندما التفتت، حانت منها نظرة الى نفسها في المرآة. ولم يكن هناك ماينبيء بالشيء الرهيب الذي سيحصل لها.لم تكن تريد الموت. اولا فيليب ثم هذا...الحب والحياة.

جرفتها افكارها الى يوم الحادث، يوم اعادت بالبريد الى فيليب خاتم الخطبة. وغادرت مكتب البريد زائغة لاترى حولها، غير متيقظة على غير عادتها. من بعيد سمعت أزيز كابح سيارة. ثم لطمها شيء ما بعنف ووحشية. تبددت آلامها على التو. كل افكارها اختفت. كان ظلاما مريحا حيث لاشيء يزعجها لاشيء يحصل وبالتالي لاشيء يؤلم.

لكنه لم يستمر. بل كانت هناك ايام من الألم وثمة شيء ينغز ذراعها حتى شفيت تماما – وعندئذ اخبروها الحقيقة كاملة.

اشتغلت كارول بجد ونشاط في الايام المريرة المتعاقبة . فمضى اسبوع واسبوعان واذا بها مولجة بأمر نيستا وحدها . حتى بدأت تعرفها وتحبها . كذلك كبر اعجاب نيستا وحبها بسبب هذا القرب ، لكنها لم تدع الفتاة تعرف شيئا عن خطتها المتنامية ببطء في ذهنها خلال ذلك الوقت . ولم يدر شيء في خلد كارول حتى ارسلت ماترون رئيسة الممرضات تطلبها ذات يوم . للوهلة الأولى ، عندما شاهدت الطبيب الذي أخبرها بمرضها في المكتب رأت بصيص أمل يتعلق بشفائها لكنه سرعان ما تبدد عندما تحدثت ماترون. قالت بوضوح:« هل تحبين الانسة نيستا بروتون؟» فوجئت كارول وقالت:« نعم، احبها كثيرا.»

فأضافت ماترون:« هل تودين العودة معها اذن الى خواماسا؟»

وكادت كارول ان تتكلم معربة عن دهشتها غير ان الرئيسة اوقفتها واستطردت:« لحظة، قبل ان تجيبي. اريد ان اوضح الأسباب كاملة. الآنسة برتون كما تعرفين أخرجت ساقها من الجص وتخضع لعلاج من شأنه تنشيطها اكثر. ستكون بحاجة الى انتباه لكنها تفضل العودة الى خواماسا في اقرب وقت ممكن – فهي معتادة المناخ الاستوائي وغير قادرة ان تتحسن هنا كما توقعنا. نعتقد انه في صالحها ان تعود. ويجب ان يكون معها شخص يوليها الاهتمام المطلوب، وهي سألت اذا كان بامكان هذا الشخص ان يكون

انت. في الاحوال العادية ما كنت لأنظر في الأمر الا اذا تقدمت انت بطلب التسريح من الخدمة. ومع ذلك شعرت اخيرا انك لست سعيدة في عملك. ولا أعني ان عملك أصيب بأي علة، لكنك متوترة كثيرا ويمكن ان تجدي الوضع أسهل في مكان لا يعرف فيه أحد شيئا عن حادثك وعواقبه.»

لم تجد كارول ما تقوله وهي تتمتم:« انا...انا...»

فما كان يخطر لها ان ماترون التي تبدو دائما قاسية المشاعر، طاغية بالنسبة الى رفيقاتها، يمكن ان تفهم كل هذا وفي هذه السهولة.

وتدخل الطبيب واقفا بسترته البيضاء ناظرا اليها من فوق:« اما بالنسبة الى الشيء الآخر... فهمت ان هناك مستشفى في الجزيرة وسنرسل تفاصيل وضعك اليهم.»

قاطعت كارول متناسية لبرهة تقاليد المستشفى:« لكنني اعتقدت ان احدا لا يجب ان يعرف شيئا عني هناك » وعبرت هذه المقاطعة بلا تعليق ثم اضاف الطبيب:« هناك طبيب سويسري مسؤول عن المستشفى سأعطيك ظرفا يحوي على تقرير ونسخ عن صور الاشعة وسنطلب اليه الا يفضي بشيء. ستحتاجين الى بعض المساعدة في النهاية ياعزيزتي. كما يمكن ان يقع لك شيء قبل ذلك .وسيهتمون بذلك ايضا.»

«ناقشي الامر مع الآنسة بروتون قبل ان تقرري.» سمعت كارول صوت مارون تقول ذلك ولاتعرف كيف وجدت نفسها خارج الباب وفي طريقها الى غرفة نيستا التي كانت مستلقية على سريرها بادية الضعف، من آثار النزلة الصدرية وساقها المكسورة.

لدى دخولها الغرفة حيتها نيستا بصوتها الأجش وقالت: « يبدو ان ماترون اخبرتك بالعرض.» اومأت كارول برأسها قائلة نعم. ولم تكن هذه الكلمة كافية فرضافت : « لماذا تريدين اصطحابي معك الى خواماسا؟»

« لأسباب عديدة ياصغيرتي » وتخلت نيستا عن لهجتها الرسمية لتقول بصوت باهت بعيد. « اولا لأنني اريد تغيير المناخ، فقد تعودت الجو الاستوائي. واريد العودة الى جواماسا بأقرب وقت، في المستشفى يقولون لي ان ساقي تحتاج مقدارا اكبر من العلاج. لذلك – وهنا السبب الثاني – على ان اصطحب معي ممرضة لشهرين على الاقل. ثالثا انا أكن لك كل مودة وانت بالتالي في حاجة للإبتعاد عن هذا المكان واتمنى ان تأتي معي.»

واضافت كارول مستغرقة في افكارها كأنها تحدث نفسها بصوت مرتفع:
« لا حاجة بأحد ان يعرف. انت لاتحبين الشفقة، اليس كذلك؟. ولن يكون بامكانك احتمال الامر هنا لمدة اطول مهما احببت عملك.»
وكأنها ترضخ للأمر وجدت مفاجأة في صوتها وهي تجيب:
« كلا، لن احتمل الامر لمدة اطول» واضافت:« لكن سيكون لدى القليل افعله في جواماسا معك.»
« هناك ما يكفي. على ان اصطحب ممرضة في كل حال. وأحب ان تأتي انت فما رأيك؟»
سكتت كارول لحظة. كانت تفكر في الشهور الثلاثة التي ستقضيها مع اشخاص يعرفون بأمرها. الا اذا قبلت العرض. انها اقل من ثلاثة شهور في الواقع. مع ذلك تبدو المدة طويلة بين أشخاص يراقبونها مدى النهار. لم تكن تريد ان يمضي الزمن الباقي هنا، في هذا الجو المريض الكئيب. لقد أخذ القدر كل شيء منها تقريبا. لكنه رق قليلا في النهاية واعطاها امكانية زيارة جزيرة ذات جمال رومنطيقي.
« خواماسا . »
وقررت مبتسمة للآنسة بروتون : « اذا كنت حقا تريدينني، سأكون سعيدة بالذهاب.»

٢ – الغريب يظهر فجأة

كانت الطائرة الصغيرة في طريقها الى الهبوط في مدينة متوسطة، وان كانت صغيرة بالمقارنة مع بقية الجزيرة. وعلى مسافة أميال عدة من المدينة، كان بناء أبيض ضخم يلمع تحت أشعة الشمس، أحاطت به الحدائق المرتفعة، ومالت الآنسة بروتون مشيرة نحو البناء، وقالت مؤكدة ظنون كارول:
« هذا هو قصر البلاسيو انه جميل حتى من الجو، أليس كذلك؟»
« انه كذلك، ومهيب ايضا.»
ولاح من ابتسامتها الاصيلة وهي تقول:
« هنا؟ في ولاية فاخرة، يعيش سيد الجزيرة.»
ورغم كلماتها المازحة، أحست نيستا في صوتها رنه تحد، جعلتها تفكر بفضول بين الماركيز وكارول، والتي لم تعد تبدو مستحيلة. وعندما نزل جميع الركاب، تحركت الآنسة بروتون متكئة بقوة على عصاها، ومستندة على كارول، الى حيث كانت تقف سيارة كبيرة سوداء بجانب الطائرة تقريبا، متحدية بذلك كل أنظمة المطارات. ورفعت كارول عينيها ونظرت الى نيستا وسألت في ريبة:« هل هي للمركيز صاحب كل السلطة؟»
وعندما أيدت نيستا ظنها بايماءة سريعة. أضافت:
« يبدو أنه يخرق كل الأنظمة بدون عقاب.»
أجابت نيستا : « إنه يملك الأرض والمطار.»
وسألت كارول : « الى أين سنذهب؟»
واستدارت نيستا اليها قائلة:« عندي فيللا في الأراضي المحيطة بالبلاسيو كنت أعيش في فندق، ولكن فاليب قدم لي فيللا فرانشيسكا عندما خلت. اذ أدرك أنني انوى الاقامة هنا على الدوام.»
وانطلق السائق بهما خلال شوارع المدينة بسرعة وكانت المدينة ذات طابع

مرح وجو كأجواء العيد، رغم أنه لم يكن موعد عيد، ودخلت السيارة طريقا ترابيا محاذية الأشجار العالية حيث حطت العصافير، وتركت هذا الطريق بعد فترة، واخترقت آخر يشبه الاول كثيرا، وأشارت نيستا ناحية الطريق الآخر وقالت:« هذا يؤدى الى البلاسيو.»

وتضاءلت الأشجار التى كانت على جانب الطريق تدريجيا، وظهرت فيللا بيضاء صغيرة، محاطة بحدائق صغيرة منتظمة. ووقفت امرأة على عتبة الباب تراقب تقدمهم . وحينما اقتربت السيارة من الوقوف بعدما مرت خلال البوابة الحديدية المفتوحة، انضم الى المرأة رجل متقدم فى السن، وتكلم معها لحظة، ثم تقدم الاثنان نحو السيارة، وحينما كانت نيستا تحاول الخروج منها بمساعدة كارول تساءلت المرأة بانفعال فى البرتغالية، وطمأنتها نيستا لكن الزوجين ظلا يتهامسان فى قلق. وقالت كارول بعدما ألقت نظرة على وجه نيستا:« أعتقد أنه من الأفضل لك الذهاب مباشرة الى السرير.»

وساعدت كارول نيستا على خلع ملابسها، ثم نظرت إليها وهى ممددة فوق السرير فى انهاك وقالت بحزم:

« ستبقين فى سريرك بدون إزعاج لفترة من الوقت.»

ولكن طرقا سمع على الباب، ونادت نيستا بالبرتغالية، ورد صوت نسائى من الخارج، وقالت نيستا حينما فتح الباب:« إنها تيريز وهى تهتم بى وزوجها يساعد فى الحديقة، اضافة الى أنه يقود السيارة لتوصيلى الى المدينة .تيريز تعرف القليل من الانكليزية، ولذلك يمكنك التفاهم معها.» وابتسمت لتيريز، وأضافت شيئا بالبرتغالية. كذلك أشرقت تيريز، وخاطبت كارول بانكليزية ركيكة قائلة:« لقد شفيت ساق السنيوريتا...هذا جميل.»

واستدارت ناحية الباب يتبعها زوجها الذى ظهر لتوه حاملا حقائب نيستا الى الحجرة. وقالت وهى تنصرف:« سأذهب الآن لأعد شيئا تأكله.»

وابتسمت كارول وهى تراقب الباب الذى أغلق خلفهما وقالت وهى تلتفت ناحية نيستا:« إنهما زوجان لطيفين.»

وأومأت الآنسة بروتون. وقالت:« أعتقد أنك ستحبين البرتغاليين. يجب أن أرتب لك لقاءات مع بعضهم. ولم تضف بقية ما كان فى ذهنها. ان هذه الشهور الأخيرة يجب أن تكون زاخرة ومشرقة قدر المستطاع. وقالت لها كارول بحزم:« الآن سترتاحين، وستنسين كل شىء آخر.»

وترددت كارول بين أن تذهب لتكتشف الحديقة والبيت، أو أن تفرغ حقائب نيستا. وما كادت تقرر أن الواجب يأتى فى المقدمة، حتى سمعت وقع أقدام ثابتة على السلم الخارجى. وحينما استدارت لمحت وجها انعكس عليه الضؤ وظهر خلال الباب المفتوح. وسمعت صوت رجل يقول شيئا بالبرتغالية. وردت:« آسفة..لاأفهم البرتغالية...»

ولم تكن تستطيع أن ترى القادم الجديد بوضوح، ولكن ساورها الاحساس بطوله وباعتداده بنفسه. وقال بانكليزية متمكنة، وبصوت لطيف ومهذب وان أثارها فيه شيء ما:« هل أنت جديدة فى الجزيرة ياسنيورا؟»

«وصلت هذا الصباح فقط.» ثم بدأت تراه بوضوح أكثر. وأحست بصدمة عندما اكتشفت أنها لم تر أبدا من قبل رجلا على مثل وسامته النادرة، رغم ما كانت عليه ملامحه الجدية. وسألته وهى تحس بشىء من النفور:« هل جئت لترى الآنسة بروتون؟»

ربما يكون أحس بعداوتها..فضاقت عيناه الداكنتان اللامعتان وهو يقول:« معذرة ياآنسة، واضح أن الوقت غير مناسب.»

وأحست كارول بشىء من الخجل فى أعماقها، وتبينت أن تساؤلها كان جافا دون داع، وقالت:« أخشى ياسنيور أن يكون الوقت غير مناسب بعض الشىء اذا كنت تريد رؤية الآنسة بروتون، أرهقتها الرحلة، وأعطيتها مهدئا، انها الآن نائمة.»

وتفحصتها العينان الداكنتان اللامعتان بشىء من الاستخفاف وأحست أنهما تدققان فى تفاصيل ردائها الأبيض، والغطاء الذى يحيط بوجهها، ويخفى الشعر البنى المحمر المجعد، وقال:« هل يفهم أن الآنسة بروتون فى رعايتك؟»

« هذا صحيح.»

ورفعت بصرها نحوه، وارتسمت على ملامحها الابتسامة المقنعة التى كانت تتكلفها أحيانا فى المستشفى سان كريستوفر عندما تتعامل مع آباء أو أقارب متعبين. لكنها هذه المرة كانت تخفى كراهية، رغم ما كان بصرها يراه من الجاذبية النابعة من فكية البارزين وانفه الارستقراطى المستقيم وشفتيه المرسومتين باتقان. وذقنه الحازم الذى كان يحمل العناد الانكليزى. فى حين كان الحاجبان الأسودان فوق العينين الداكنتين اللامعتين، والشعر الكثيف المائل الى التموج رغم تمشيطه الى الخلف مستقيما فوق جبهة باللون

البرونزي كل ذلك ينطبق ببرتغالية المميزة.
وقال باصرار على ألا يدع لها وقتا للاجابة :
« أنت انكليزية يا سنيورا ، ولكن أجل ، طبعا ، فالحدث وقع في انكلترا ؟»
أجابت كارول : « نعم حدث في لندن »
وأومأ هو ، ودس يده في جيب سترته البيضاء التي أبرزت جاذبيته الداكنة ، وأخرج علبة سكائر ذهبية لم يفتحها في الحال ، لكنه ظل واقفا يربت عليها باصابعه . وقال بلهجة حيادية زادتها تباعدا لكنتها الانكليزية الغريبة
« إننا لم نسمع أية تفاصيل عن الحادث هنا في خواماسا »
وأعطته كارول تفاصيل مختصرة وهي ماتزال لا شعوريا تراقب الأصابع الرفيعة القوية التي تمسك علبة السكائر الثمينة .
وفتح العلبة وقدم لها سيكارة ، لكن كارول هزت رأسها قائلة :
« شكرا ، لا أدخن مادمت أرتدي الزي الرسمي »
وارتفع الحاجبان القاتمان المستقيمان تعبيرا عن السخرية وسأل :
« هل مهنتك شديدة الجدية بالنسبة اليك ؟ »
ورمقته كارول بنظرة دهشة وقالت :
« بالطبع ، فالتمريض ليس مهنة يمكن أن تؤخذ باستهتار »
وفوجئت به يسأل : « وعندما يتم شفاء الآنسة بروتون ، ماذا ستفعلين ؟ »
وأحست كارول بالغيظ من جديد ، بأي حق كان لغريب عنها تماما أن يوجه اليها بحرية مثل هذا السؤال ؟ وقالت وهي تقاوم ضيقها :
« عندما تشفى الآنسة بروتون سأعود الى مستشفى سان كريستوفر »
« ربما تغيرين رأيك وتبقين في خواماسا »
« هذا مستحيل »
« لاشيء مستحيلا في خواماسا يا سنيورا ، ربما وجدت السبب للبقاء »
« بأية طريقة ؟ »
« سأترك السؤال بدون جواب ، ربما فيما بعد يمكنك الاجابة بنفسك »
واستبد الغيظ بكارول ، لقد بدا كما لو كان لايشك في أنها ستبقى . وجعلتها الطريقة المتعالية التي تجاهل بها احتمال عدم بقائها في خواماسا تزداد كراهية له ، فلم يكن هو الذي يأمرها . وتخيلت لمحة سخرية في عينيه وهما ترمقان ملابسها ، وقال:« أنت ولاشك محجبة عن الاستمرار في المناقشة مع

شخص لم يقدم لك ، ولكن هذا ما يمكن تأجيله الى وقت آخر ، سأعود غدا »
وعادت السخرية الى صوته عندما استطرد قائلا : « بعد إذنك طبعا ! »
وأحست كارول أنه ليس بالرجل الذي اعتاد أن يستأذن أحدا في تصرفاته ، وأنه حتى في هذه المناسبة لم يعتبر الاستئذان ضروريا حقا . وقد ألغت سخرية اللهجة أدب الكلمات . وأخفت ابتسامة المهنة التي افتعلتها الكراهية التي اشتعلت في أعماقها وقالت :
« أنا متأكدة أن الآنسة بروتون ستسر برؤيتك . فمن تكون لأخبرها ؟ »
« فاليب دي ألفيرو ريالتا »
لاحظ نظرة الدهشة لكنه لم يعلق واستطرد يقول :
« أعتذر عن زيارتي غير المناسبة ، وداعا يا سنيورا »
وبانحناءة صغيرة لم تتعد هزة من رأسه الداكن ، انسحب منصرفا .. الماركيز دي ألفيرو ريالتا ! وظلت كارول في مكانها لا تتحرك لمدة دقيقتين ، بينما كانت الأفكار تتصارع في رأسها ، أين الماركيز المتقدم في السن ، البدين ، الذي تخيلته ؟ لاغرابة في أن نيستا كانت تبتسم أحيانا لملاحظاتها عن سيد خواماسا . وعندماإنطلقت السيارة بعيدا ، إختفت عن النظر ، استدارت مبتعدة عن النافذة ، إذن كان ذلك هو فاليب دي ألفيروريالتا . كان باهر الجاذبية وسحر عجرفته يلائم حتما بعض النساء
واتجهت ناحية السلم وقد قررت أن تبدأ في افراغ الحقائب كما كانت تزمع قبل وصول الماركيز . وبينما كانت منهمكة في عملها ، حاولت أن تبعده عن ذهنها وأن أحست في بعض اللحظات أن الكراهية تخز ذاكرتها .
وحينما إنتهت من مهمتها ذهبت الى حجرة نيستا وسألتها :
« كيف حالك الآن ؟ »
« أحسن كثيرا ... ألم يحدث شيء أثناء نومي ؟ »
وابتسمت كارول من جديد ابتسامة مختلفة تماما عن تلك التي منحتها لفاليب دي ألفيرو ريالتا ، ابتسامة أضاءت عينيها وأظهرت جمال فمها . وأشرقت ملامحها بشقاوة لاذعة ، لم يكن هباء أنها سميت مورغانا فاي كارول . وسألت : « أي نوع من الاشياء ؟ »
« مثلا هل حدث بينك وبين تيريز أي تصارع لغوي ؟ »
« كلا ، ولكن رجل الجزيرة العظيم جاء ... »

« فاليب جاء ؟ »

وابتسمت نيستا رغم ما شعرت به من ضيق لضياع هذا اللقاء الأول منها ، وكانت في عيني كارول صورة عن الانطباع الذي تركه في نفسها والذي لم يكن طيبا على الاطلاق .

وسألت نيستا وهي تراقب باهتمام الطريقة التي سيطرت بها ممرضتها الشابة على عواطفها : « ما رأيك فيه ؟ »

« الماركيز ؟ أعتقد أنه لطيف »

« أريد رأيا صادقا وليس لبقا »

« حسنا ، إنني أكرهه بشدة وأعتقد أنه غير محتمل ومتعجرف ولايبالي بغير إرادته »

وحاولت نيستا أن تعترض بهز كتفيها لكن كارول أسرعت تقول :

« طلبت مني أن أكون صادقة »

« لابد أنكما تحدثتما لفترة طويلة حديثا ممتعا للغاية »

« لم يكن حديثا طويلا ولكن »

« آسفة لإحساسك بالكراهية نحوه ، وأنا أعترف بأنه مستبد بعض الشيء أحيانا ، لكنك اذا عرفته فستجدينه شخصا لطيفا للغاية »

وامتنعت كارول عن التعليق مقتنعة بأنه لا يمكن أن يتحسن في نظرها حتى بالمعرفة الوثيقة ، ولم يكن في نيتها أن تحاول صحبته ، لكنها في الوقت نفسه لم تكن من الغرور فتتصور أن ذلك يمكن أن يسبب له أي قلق اذ كان شديد الاعتداد بمكانته .

وقالت نيستا وهي تقرأ ما ارتسم على وجه الفتاة من التعابير :

« ألا تريدين التعرف به ؟ »

« كلا ، ولا أرى سببا يدفعه هو الآخر الى الرغبة في التعرف بي ، وذلك يحل المشكلة كلها . أستطيع أن أتخيل من رؤيته لي عن مدى ترفع الطبقة الأرستقراطية البرتغالية »

« ربما ، ولكن فاليب يهتم بكل فرد في الجزيرة »

وفكرت كارول أنه ربما الاقطاعي الذي يحب أن يعرف كل شيء يدور داخل أملاكه .

وعادت نيستا تهز رأسها ضاحكة وقالت وفي صوتها رنة طرب :

« حسنا على الأقل يجب أن تعترفي أنه جذاب وليس بدينا على الاطلاق »

« أوه ... إنه جذاب بما فيه الكفاية »

وتلاحقت الأفكار من جديد في رأس كارول ، ربما كان غنيا وأيضا ساحرا ، لكنها لم تكن تحبه ، ولم تكن تجد دافعا لتغيير رأيها ، وعلى أية حال كان هناك فيليب وهو يملأ خيالها رغم أنه لم يعد لها . ولاحظت نيستا الظلال التي عبرت وجه الفتاة وبجدية وهدوء سألتها : « ماذا بك ؟ »

ورمقتها كرول بنظرة طويلة، ثم تجمدت تعابير وجهها، وارتسمت عليه الابتسامة المؤدبة التي واجهت بها فاليب، وقالت بصوت مصطنع:

« لاشيء، مجرد صورة شخص يسير فوق قبرى.»

« كان علي أن أدرك أن رجلا هو الذى تسبب فى هذه الظلال المفاجئة.»

وسكتت، ثم عادت تقول بالصوت الهادىء نفسه الذى حرصت على ألا يوحي بالعطف لادراكها أن كارول ستنفر من أقل لمحة شفقة!

« لو كان الافضاء يخف عنك، فيمكنك أن تحدثينى بما فى نفسك، أصبحت أعرف الكثير عنك.»

وظلت كارول مترددة لحظة. ثم فجأة قررت الافضاء، وقالت:

« كنت مخطوبة، ثم نكث خطيبى عهده.»

«أما زالت الصدمة تؤلمك؟»

«كثيرا فى بعض الأحيان، اعتدت أن احبه منذ طفولتى، وعندما كبرت كان الأمر يزداد حدة لا سهولة.»

«أى نوع من الرجال كان؟»

أى نوع من الرجال ذلك الذى فاز بحب كارول، وكان من الحماقة والغفلة ففرط بمثل هذه الفتاة؟

وابتسمت كارول غير واعية للنظرة الشاردة فى عينيها، وقالت:

« طويل، أشقر الشعر، ذو عينين زرقاوين تبدوان دائما مبتسمتين، كان اسمه فيليب لايلاند.»

وحملقت نيستا فى محدثتها، لكن نظرة الريبة التى إستقرت على وجهها لحظة لم تلبث أن حلت مكانها نظرة كراهية شديدة، ولم تلاحظ كارول ذلك فى البداية، اذ كانت عيناها حالمتين بعيدا. وعادت تقول بنعومة:

« كان يبدو دائما مبتسما.»

« ابتسامة جوفاء بلا معنى، إذن كنت مخطوبة « لفيليب لايلاند » ؟
«هل تعرفينه » ؟
« أعرف ، شاب مغرور ، من حسن حظك أنك تخلصت منه » .
وهزت كارول رأسها ، وابتسمت قائلة :
« إنه ليس مغروراً يا آنسة بروتون، أعرفه منذ سنوات » .
« إذن فلا بد أنه تغير كثيرا منذ عرفته يا عزيزتى »».
وسكتت نيستا لحظة فى شئ من التردد . كانت تعرف أن ما لديها من قول يجب أن يعرف . وربما كانت الصدمة أفضل وسيلة . وبدأت تقول ببط ء:
« فيليب لايلاند . أعتبره أكثر الرجال الذين قابلتهم غروراً . وبكل تأكيد أكثر الرجال غروراً فى خوامابا حالياً .
« فى خواماسا » .واتسعت عينا كارول تبحثان عن وجه نيستا . وعادت تهتف : « فيليب . هنا فى خواماسا » ؟
وبدأت تفيق من ذهول الصدمة . لتسرى الرجفة فى أعصابها وهى تقول معترضة فى يأس :
«لا يمكن أن يكون هنا ».
« إنه موجود بالفعل . وقد رأيت من الأفضل أن تعرفى بذلك . فمن المؤكد أنك ستلتقين به فى مكان صغير كهذا ».
وضغطت كارول على شفتيها . وقد بدت فى عينيها التعاسة والإرتياك فى الوقت نفسه. جا ءت إلى خواماسا . حيث لا يمكن أن يأتى لتكتشف أنه هنا . فى إنتظار أن يقوض أمنها . إنه مزاح القدر القاسى ! وسألت ».
« أحضره فاليب لبعض الأعمال الهندسية ».فاليب مرة أخرى ! وبمرارة غير منطقية . حملته مسؤلية عذاب القلب الذى كان فى إنتظارها . وكانت هذه نقطة أخرى تضعها ضده .
وقالت نيستا بحماسة :
« فى أية حال . فهو لم يكن طرازك . قد تتحققين من ذلك عندما تلتقين به من جديد بعد المرحلة التى افترقتما خلالها . رغم أننى أعتقد أننا تى ذلك الحين .يجب أن نتفق على أننا لا نتفق فى هذه النقطة . فعندما تفتن فتاة برجل ليس من الطراز الذى يلائمها . لا تراه أبداً على حقيقته ».
« وكيف تستطيعين الجزم بأنه مجرد إفتتان ؟ لا أعتقد أنك تعرفين فيليب كما أعرفه أنا جيداً . لقد نشأنا معاً .

«لا يحتاج معرفة شخص من طراز فيليب لايلاند الى وقت طويل، وعندى فكرة طيبة عن حقيقتك المختفية وراء مظهر الممرضة الذى تحبين أحيانا أن تتظاهرى به.» وسكتت، ثم أضافت بابتسامة شاحبة: « لايمكنك أن تحبى شخصا يريد أن يعتمد عليك، وهذا الشاب من ذلك النوع بكل تأكيد.»
وودت كارول أن تقول أنه مهما كان فيليب، فانها لاتزال تحبه، لكنها تنبهت الى أن ذلك لايخدم هدفا، ومثل موضوع فاليب دى ألفيرو ريالتا، كان عليها - كما قالت الآنسة بروتون - أن تتفقا على أنهما لاتتفقان، أبدا على أنها ذات جمال، فى حين أنها كانت دائما مبهورة بوسامة فيليب، وكان من الصعب عليها أن تقتنع بأنه وجد فيها شيئا جذبه ودفعه الى طلب الزواج منها، وأنه أحبها هى مورغانا فاى كارول.
ولكنه فى الواقع لم يحبها، كان مجرد افتتان من جانبه، أو نزوة عابرة، وإن كان حبا من جانبها، والآن انتهى كل شيء. والناس قد تعتقد أنها يمكن أن تقع فى الحب من جديد. لكنها تقشعر لمجرد الفكرة. كان حبها لفيليب حقيقيا، مثل النجوم فى السماء.
ثم حدث شيء غريب بدا لها أنها ترى عينى فاليب دى ألفيرو ريالتا الداكنتين الساخرتين، تستخفان بحبها، وتنددان بها بطريقته المتعالية، وأحست بكل شيء فيها يتجمد، ونظرت الى صوره فى ذهنها بازدراء وكراهية، حتى تلاشت، وعادت أمامها مرة أخرى صورة الرجل الذى كانت تحبه، الرجل الذى كانت ستحبه دائما.
ثم . تذكرت، « دائما » هذه، لن تكون طويلة المدى!

٣ – مجرد امرأة تحب

نظرت كارول في أرجاء غرفتها باستحسان، فقد تنبهت لأول مرة الى ما يحيط بها. كان الأمس مرهقا، ثم كانت هناك الصدمة المريرة الحلوة لمعرفتها بوجود فيليب بالقرب منها. واتجهت ناحية السرير ذى الغطاء البنفسجى الزاهرى الذى إحتضن فى الليلة السابقة تعبها بنعومته اللذيذة. كان كل ذلك مختلفا كثيرا عن غرفتها الصغيرة فى مستشفى سان كريستوفر.

ثم فكرت فى فيليب. وتلاشى فى الحال سرورها بغرفتها الصغيرة، قالت لها نيستا أنه لايستحق حتى التفكير فيه. ولم توافقها على ذلك، لكن كان من المحتم أن يتقابلا وكانت مسرورة لأنها أنذرت، وبذلك كان من الأسهل ألا تدعه يدرك منزلته لديها. بل لقد حاولت أيضا أن تتخيل هذا اللقاء الأول... هل سيفاجأ برؤيتها؟ من المحتمل، لكنها لم تستطع أن تذهب الى أبعد من ذلك. هل كانت الفتاة الأخرى فى الجزيرة؟ الفتاة التى كانت السبب فى كتابة فيليب ذلك الخطاب؟ ربما كانت برتغالية جميلة ذات عينين داكنتين. لكنه كتب الخطاب من انجلترا، وقد يكون التقى بها فى مكان ما خارج خواماسا قبل أن يحضر الى الجزيرة. والآن يمكن أن تكون معه هنا. وربما أيضا يظن أنها اكتشفت مكان وجوده، وأنا لذلك تبعته الى خواماسا.

ثم، لسبب ما، وكما حدث فى الليلة السابقة، وجدت نفسها تفكر فى فاليب دى ألفيرو ريالتا، ان مما يدعو الى العجب أن تكون الكراهية دافعا لتكرار عودة صورة الشخص الى الذهن شأنها فى ذلك شأن الحب.

ورأت من خلال النافذة السيارة السوداء المألوفة تقف وكانت نيستا ممددة فوق أريكة فى الحديقة، مستندة على الوسائد تستمتع بأشعة شمس الصباح. ولمحت كارول رأسها يستدير بابتسامة ترحيب، ورغم إرادتها، وجدت نفسها تعجب بكبرياء الجسم الطويل النحيل، وتوازن الرأس الداكن ومرة أخرى كان يرتدى بذلة بيضاء ناصعة أبرزت سواد شعره وسمرة جلده.

وبعد لحظة سمعت طرقا خفيفا على الباب ودخلت تيريز منفعلة وأحست كارول بالتأفف يعاودها من جديد فكأنما القادم شخصية ملكية...فكرت فى ذلك وهي تنصت الى ما كانت تيريز تخبرها به عن رغبة نيستا فى أن تلحق بهما. وكانت على وشك أن تتبع تيريز متبرمة الى الباب، عندما اندلعت الفكرة فى رأسها، فوقفت وفى عينيها بريق التصميم...وقالت:

« أخبرى الآنسة بروتون أننى سأنزل اليها بعد قليل.»

وعندما انغلق الباب خلف تيريز، اتجهت كارول الى خزانة الملابس، وأخرجت زى التمريض، اذ كان الثوب الأخضر الذى كانت ترتديه جميلا وأنيقا، لكنها خلعته وارتدت زى التمريض... وهمست لنفسها فى صوت ماكر أن فاليب لا يحب المرأة فى زى رسمى.

ووقف الماركيز حينما اقتربت وفطنت الى انها لم تلمح الرعشة التهكمية فى عينيه الداكنتين عندما قامت نيستا بمهمة التعرف. كما فطنت أيضا الى أن نظرته الناقدة انقلبت الى ثوبها. وأحست بفرحة مضاعفة لأنها أقدمت على تنفيذ ما فكرت فيه.

وقالت نيستا : « لقد عرض فاليب أن يعيرني كتبا ، فاذا لم يكن لديك مانع يمكنك الذهاب معه واحضارها لي »

وردت كارول بأدب رغم أن ذلك كان آخر ما تريد:« بالطبع لا مانع لدي »

وقال فاليب بصوته الأجنبي اللطيف : « ربما تجدين أيضا شيئا مسليا لك يا آنسة كارول ، اذا عدت معي الى البلاسيو لأخذ كتب السنيورا »

ردت كارول بالصوت المؤدب نفسه ، ولكن بدون أن يكون فى نيتها القبول

« شكرا يا سنيور »

ولما لم يكن لها الخيار ، كان عليها أن تذهب لإحضار كتب الآنسة بروتون لكنها ما كانت أبدا لتقبل شيئا لنفسها ، ولا كان لها أن تنظر بفرح الى انفرادها برفقة فاليب حتى لفترة قصيرة . واعتزمت أن تهرب في أسرع وقت ممكن . وسألها فاليب بأدب مترفع :

« ألا تفهمين البرتغالية على الاطلاق يا آنسة كارول ؟ »

ردت في شيء من الرضا : « كلا ، على الاطلاق ياسنيور »

« خسارة كان ذلك سيفيدك ، يجب أن نعمل ترتيبا لإصلاح ذلك »

وحينئذ بذلت كارول جهدا لتكبح جماح لسانها قبل الرد ذلك أنها

استشعرت من جديد سهولة افتراضه بأن كل شخص لابد أن يخضع لما يأمر به سيد خواماسا . وردت بأدب : « شكرا لك يا سنيور ، لكنني أعتقد أن الأمر لا يستحق ذلك حقيقة . لأنني لن أبقى في الجزيرة طويلا »

« أمازلت مصرة على رأيك ؟ آه ... حسنا . الوقت قصير ... إنك هنا منذ يوم واحد فقط »

وأحست من جديد أن أمر بقائها في خواماسا استقر ، ومن جديد أيضا شعرت بالأسى لأنها تعجز عن أن تصارحه بأنه حتى لو كان هو سيد خواماسا فليست له سيطرة على حياتها او تحركاتها . وقالت :

« أخشى ألا يكون لي الخيار في موضوع العودة الى انكلترا يا سنيور »

وكانت تنظر اليه وهي تتكلم ، وتبينت من جديد مدى جاذبيته ، وإن أكدت لنفسها في الوقت نفسه أنها ليست الجاذبية التي تروق لها اذ كان داكنا للغاية وهذه جاذبية مقبضة بالمقارنة مع بياض فيليب وحسنه .

وقال : « قد تجدين القصر جذابا أيضا »

ونظر فاليب الى نيستا بابتسامة وقال : « ألا تستطيعين الاستغناء عن ممرضتك ذات الضمير الحي لفترة قصيرة من الوقت ؟ »

وقالت نيستا بدون تردد : « بالطبع أستطيع الاستغناء عنها »

وتمنت كارول لمرة واحدة لو كانت نيستا مريضة مشاكسة كثيرة الطلبات ، تصر على عودتها بسرعة ولاحظت مستاءة أنه لم يكن هناك سؤال عما اذا كانت هي ترغب أو لا ترغب في رؤية القصر .

وأضافت آنسة بروتون بنظرة طرب :

« لا حاجة بك على الاطلاق الى السرعة بالعودة »

ومرة أخرى أحست كارول بانفعالاتها تؤلمها ولم تنتبه الى أنها كانت شديدة العبوس حتى سمعت صوت نيستا الضاحك ثم بسرعة أزالت العبوس عن وجهها وقالت معتذرة : « أخشى أن تكون أفكاري قد شردت »

وعندما حان أخيرا وقت توديع نيستا مؤقتا ، لتسير بجانبه الى حيث كانت تقف السيارة السوداء الفخمة ، اكتشفت كارول أن نفورها ازداد ، ثم شغلت نفسها بتأمل المناظر حتى ساورها إحساس بالخجل ينبهها الى أنها يجب على الأقل أن تشرع في التحدث معه . لكنها قاومت هذا الاحساس بزعم أنه هو أيضا ربما لا يتمنى التحدث معها ، وظلت صامتة حتى سمعته يقول بدون أن

يحول عينيه عن الطريق : « إنك لا تحبينني يا آنسة كارول وإني لأتساءل هل ذلك لأنني لست انكليزيا ؟ »

« أعتقد أنك تتخيل أشياء يا سنيور »

« ربما »

واذا كان صوتها خرج حذرا ، فصوته كان بدوره متعاليا ، وعلى أي حال ما الفارق لدى المركيز دي ألفيرو ريالتا ، اذا شعرت نحوه بالكراهية فتاة تافهة مثل كارول ؟ وسادهما الصمت لفترة ثم قطع هو هذا الصمت قائلا :

« مادامت إقامتك في خواماسا قصيرة يجب عمل ترتيبات لتشاهدي المزيد من الجزيرة . وأحست كارول بالغيظ اذ كان يتكلم كما لو كانت سائحة لليلة واحدة تتشوق الى رؤية كل شيء في لحظة واحدة قصيرة . وعاد يقول :

«عندما يكون الوقت مناسبا سآخذك في جولة بالسيارة »

وأجابت بدون نية في القبول ، وإن لم تستطع أن تخفي تماما غيظها :

« شكرا لك يا سنيور »

« ولكنك لست مرحبة تماما ... لماذا ؟ »

وعضت كارول شفتيها وقالت : « إنك تتخيل أشياء يا سنيور »

« مرة أخرى أتخيل أشياء ؟ اكتشفت أن لي خيالا خصبا يا آنسة كارول . أتخيل أنك تكرهينني . وأتخيل أيضا أنك لا ترغبين في ركوب السيارة معي »

« ربما أكون لا أحب أن تفرض علي الترتيبات بمثل هذه الطريقة الاستبدادية »

« ولكن لماذا ؟ النساء يجب أن ترتب لهن الأمور »

« ربما تكون فتياتكم البرتغاليات مختلفات ... ولكننا نحن الانكليزيات نحب الاحتفاظ باستقلالنا »

« آه ... نعم ... الاستقلال الانكليزي المشهور ! إني أتساءل يا آنسة كارول اذا كنت وقعت في الحب على الاطلاق ؟ »

وكان التهكم في نظرة عينيه الداكنتين وفي صوته المهذب وأحست في الحال بذكرى فيليب وكأنها طعنة سكين في قلبها ، لكنها حينما تكلمت كانت متمسكة ، قالت :

« ذات مرة ظننت أنني وقعت في الحب في أي حال انقضى ذلك الآن »

« إني أتعجب هل كان حبا حقا ؟ أنتم الانكليز تواجهون العواطف بفتور ،

ولا أعتقد أنكم عرفتم أبدا حقيقة الحب »

« كثيرة من الناس في انكلترا يتزوجون يا سنيور ... هل ترى أنهم يفعلون ذلك بدون حب ؟ »

« ليس الحب الذي يعرفه البرتغاليون »

« إنه يكفي في انكلترا »

فقال وهو يتأمل بإمعان القناع المغلق فوق وجهها كما لو كان يبحث عن الحقيقة خلفه : « قد لا يكفيك ذلك اذا أقمت طويلا في خواماسا »

« ولكنني لن أبقى طويلا لذلك فإنني آمنة تماما »

« آه طبعا ... نسيت أن الوقت قصير للغاية »

وكانت السيارة دخلت طريقا خاصا وعندما ظهرت البوابة المزخرفة تكهنت كارول بقرب الوصول الى القصر نفسه . وفوق البوابة ارتفع قوس شرقي بشعار أسرة ريالتا ، وظهر فجأة خادم بزي أخضر وفتح البوابة منحنيا للسنيور ومبتسما بطريقة تبينت فيها كارول بشيء من الدهشة الفرح والغبة . وكانت الحدائق المؤدية الى القصر ذات جمال خارق . مليئة بالأزهار الاستوائية التي لم تكن تعرف أسماءها وكانت تلمع تحت أشعة الشمس بألوانها الزاهية . ومن خلال الطريق الذي كانت تحفه الأشجار بدأ القصر في الظهور تدريجيا . كان مظهره يوحي بقصر مغربي . ووقفت السيارة أمام سلم منخفض يؤدي الى فناء أمامي مرصوف . وحينما كان فاليب يساعدها على النزول من السيارة أحست أنها تنظر مثل طفلة مبهورة ، فقد كان كل شيء ضخما وخارق الجمال .

وصعدا السلم ووصلا الى فسيفساء الفناء الأمامي وتجاوزاه فوق درجات السلم الى المدخل الواسع ذي الأعمدة المنحوتة بشعار ريالتا . وفي الداخل كان نفس الاتساع المفرط . وكانت الردهة باردة والأرض الرخامية والأعمدة الشامخة تضفي على المكان أجواء شرقية . كان من السهل رؤية عظمة هذا البناء ، وجماله كخلفية لذلك الرجل المترفع الذي ولد هنا ، وورث اسما قديما وثروة كبيرة وقرى بأكملها تحت سيطرته وبهذه الأفكار عادت نقمة كارول .

فلم يكن من الصواب أن تجتمع لرجل كل هذه القوى . وهو لم يكن سوى كائن حي عادي ، مثل أي شخص آخر . ولم تعرف أنه كان يلاحظها عن قرب إلا عندما سمعته يتكلم . وكانت في صوته رنة طرب وهو يسأل :

« إنك لا تحبين القصر يا سنيورا »

« إنه جميل جدا ولكن يوحي بالقوة الزائدة بعض الشيء »

« ذلك شيء ستعتادين عليه »

وأحست كارول أنها لن تستطيع أبدا أن تألف مثل هذا المكان ، وتساءلت عن سبب قوله بأنها تستطيع ذلك . كان من المشكوك فيه أنها ستتردد مرات أخرى على القصر ، على الأقل إن استطاعت ذلك ، اذ كانت تنوي أن تتجنب فاليب دي ألفيرو ريالتا ما استطاعت الى ذلك سبيلا .

وأجلسها على مقعد رائع ثم اتجه ناحية المقصف الصغير الملاصق للجدار وقال : « سنتناول أولا مشروبا باردا ، ثم أخذك الى المكتبة لانتقاء الكتب »

وسكب سائلا عنبريا براقا في كوب من الكريستال وقدمه لها قائلا :

« إنه خفيف ستجدينه أثقل قليلا من الليموناضة الانكليزية المشهورة »

وكانت كأسه تحوي مشروبا مختلف اللون واستطرد يقول وقد عاد الرنين المتهكم الى صوته: « لا حاجة بك الى الشكوك وأنت تشربينه مرتدية زيك الرسمي إنه غير ضار »

ولم ترد كارول وهي ترشف قليلا من المشروب بحذر في استحسان لبرودته ولكنها لم تكن متأكدة تماما من تصريحه بأن تأثيره لا يزيد كثيرا عن تأثير الليموناضة . وجلس قبالتها ، ومرة أخرى أحست بمدى جاذبيته النادرة وتساءلت اذا كان هو مدركا لها وفاجأها قائلا :

« لك القدرة على الصمت يا آنسة كارول »

واستدارت كارول ناحيته بابتسامة خفيفة وقالت :

« أعاني من عادة سيئة وهي الاستغراق في أحلام اليقظة »

وتمنت ألا يسألها ما كانت تدور حوله أحلام يقظتها . كان من المتوقع بالطبع أن يفعل ذلك اذ كان يبدو أنه يعتبر الأسئلة الشخصية حقه الطبيعي . ربما جزء من كونه سيد خواماسا ، ولكنها لم تكن في تلك اللحظة قد تبينت أن كراهيتها خفت قليلا . وعاد يسأل :

« حول أي شيء تدور أحلام اليقظة لدى الفتيات الانكليزيات ؟ »

« حول أشياء عديدة ومختلفة »

« حول قصص الحب ؟ أم أن هذا شيء لا تسمح الفتاة الانكليزية لنفسها بأن تحلم به ؟ »

« أعتقد أن الانكليزيات خياليات شأن الأخريات ، كنت في وقت ما أحلم

بالأمير الجذاب الذي سيأتيني ممتطيا صهوة جواد أبيض ، هذا طبعا كان منذ سنوات مضت »

« ثم نضجت ؟ »

ورمقته بنظرة ازدراء وقالت :

« بالفعل يا سنيور ، ولكن ذلك لا يعني أنه لا يوجد قصص حب في العالم ، حتى في انكلترا ، وإن لم يعد الفارس يصل فوق جواد أبيض »

ومع ذلك ورغما عنها مرت سحابة على وجهها اذ انتهى الحب بالنسبة اليها بلا رجعة . حتى أيام العمر أصبحت معدودة والوقت أصبح قصيرا ، ومن جديد إنبرى متسائلا :

« لكن ألا توجد قصة حب في حياتك ؟ ألم تعودي مقتنعة بذلك ؟ »

« اقتنعت الى حد الخطوبة »

« وبعد ذلك ؟ »

« قررت أنا وفيليب أننا لسنا متلائمين وتم ذلك بالاتفاق المتبادل »

وسمحت لنفسها بتزوير الحقائق متعجبة في الوقت نفسه مع تزايد غيظها ، أنه استطاع أن يجعلها تتكلم في حرية مع شخص غريب ومتعجبة أكثر كيف تمكنت أن تتظاهر بأن الأمر لم يعد يؤلمها وقال :

« اسمه فيليب ... وربما لهذا السبب تكرهينني كثيرا »

« اسماكما ليس متماثلين حقيقة. ثم أنه لا يوجد شبه بينكما فيليب أشقر جدا »

« وانكليزي للغاية ؟ »

« فعلا هو انكليزي جدا »

وراقبها وهي تعيد كأسها الى المائدة ثم قال:« برغم هذه الخطبة التي فسخت لا أعتقد أنك كنت في حالة حب ، إن لك مظهر الفتاة التي لم تلمس »

ولاحظ الدماء المتدفقة الى وجنتيها وابتسم قائلا :

« وجهك يحتقن ؟ لماذا ؟ إني أتعجب ! »

« لم أتعود مناقشة مثل هذا الموضوع »

واصطبغت ابتسامة فاليب بالتهكم وقال :

« إنكن معشر الفتيات الانكليزيات تتباهين بحريتكن ولكنكن في نواح كثيرة أكثر تحفظا من فتياتنا البرتغاليات الخاضعات للرقابة »

وأحست بعينيه الداكنتين المركزتين عليها لكنها بذلت جهدا لتحتفظ بهدوء مظهرها بينما عاد هو يسألها :

« إني أتعجب ماذا يعني الحب لديك بالضبط ؟ »

« وإني أتعجب ماذا يعني الحب لديك ؟ »

« ماذا يعني الحب لدى أي برتغالي ؟ »

وقاومت الرغبة في أن تنظر اليه حينما استطرد قائلا بصوته الجاد المتهكم :

« الحب ، إنه يأتي بخفة في اللقاء الأول ، وربما لا يستطيع الشخص أن يتبينه حينذاك ، لكنه يترك في الأعماق شيئا محيرا ، وتحوم الأفكار حول هذا اللقاء الأول ، ثم حول غيره ، ويظل الإنجذاب الأول ينمو ويقوى حتى يصبح في الأعماق نارا مشتعلة »

واتجهت النظرة المتهكمة نحوها ولم تستطع أن تتجنبها واستمر يقول :

« ألا تؤمنين بالحب هكذا ؟ »

وبسرعة ردت كارول :« إنني في دهشة من اعتقادك به على هذه الصورة »

قال وهو يخرج علبة سكائره الذهبية : « إنك لا تعرفين شيئا عن مشاعر الآخرين لأنك نفسك لم تتأثري بمثلها بعد »

وتأملها بعينيه وفوجئت باكتشافها أنهما خضراوان داكنتان وليستا سوداوين وسمعته يقول : « إني أتساءل . هل سأقابلك في وقت لا تكونين فيه مرتدية زي التمريض ؟ »

ورسمت كارول ابتسامة مهذبة على وجهها وقالت : « هناك أوقات أظهر فيها بالملابس العادية ولكن الانسان يعتاد نوعا خاصا من الملابس »

وأخرج سيكارة من العلبة وأشعلها من ولاعة حفر عليها اسمه وسأل :

« كيف أصبحت ممرضة يا آنسة كارول ؟ »

وترددت كارول ثم هزت كتفيها قائلة :

« أعتقد أني وجدت نفسي مدفوعة نحو المهنة »

وارتفع الحاجبان الداكنان وقال : « أفهم ، إنك تحجمين عن التحدث في الامور الشخصية الى أن يتم تعارفنا أكثر ، حسنا ، سنذهب الآن الى المكتبة »

ودخلت كارول ببطء الى حجرة المكتبة وهي تدور بعينيها في تقدير حول صفوف الكتب . كم كان والدها سيحب مثل هذه الحجرة . اذ كان مزهوا بمجموعته الصغيرة وحريصا عليها . واتجه فاليب نحو أحد الرفوف وسحب

مجلدا جلديا سميكا ذا كعب مذهب وقال :

« أعتقد أنك ستجدين هذا الكتاب ممتعا يا سنيورا خذيه واقرأيه »

« لا أحب إستعارته إنها نسخة نادرة »

« لن يصيبها أي سوء معك ، أعتقد يا آنسة كارول إنك تحبين الكتب »

« كثيرا جدا ، سأعتني بالكتاب يا سنيور »

والتقط كومة صغيرة من الكتب من فوق المائدة كانت بدون شك المجموعة المختارة للآنسة بروتون ولاحظت من جديد سلوكه ، اذ عاد الماركيز دي ألفيرو ربالتا منذ ألقى بملاحظته الأخيرة في الحجرة الآخرى ، ولم تكن متأكدة ما اذا كانت تفضل البرتغالي الجادي أو فاليب المتهكم الذي يثير أعصابها .

وقررت أنها تفضل فاليب دي ألفيرو ربالتا المتهكم رغم أنها لم تكن تحب هذا أو ذاك ، وقالت : « أعتقد أنه الأفضل أن أعود الى آنسة بروتون »

« بالطبع »

ولم يوصلها بنفسه الى السيارة رغم أنه عاملها في طريقة مهذبة لطيفة ، وودعها كما لو كانت ضيف شرف ، وليست مجرد الممرضة كارول . أية شخصية غريبة ! هناك لحظات أحست خلالها بأنها تقريبا تحبه . ثم كانت تصدر عنه بعض التعليقات الشخصية ، وفي الحال يشتعل غيظها منه .

بعد مضي بضعة أيام كان على كارول أن تواجه اللقاء الذي تخشاه . كانت في الحديقة تجمع أزهارا للبيت ، عندما جذب التفاتها صوت عجلات سيارة تهم بالوقوف . لم تكن واحدة من السيارات الفاخرة اللامعة التي رأتها تقف هناك من قبل لكنها كانت سيارة أصغر ، وأقل شأنا بكثير ، بل وبدت بحاجة الى التنظيف وتأملت صاحب السيارة ، وحينما لمعت الشمس فوق رأس أشقر ، ارتفعت يدها نحو فمها في حركة دفاعية غريزية وهتفت :

« فيليب »

كانت صرخة فزع ، لكن بعد لحظات كان كل كيانها مشدودا ومتيقظا .

« كارول ! »

ولمحت على وجهه ذهول عدم التصديق ، ثم شيئا آخر لم تستطع أن تتبينه حينما أصبحت تعابيره غير مقروءة وتحرك في ارتباك قائلا :

« كارول . كيف ؟»

قالت وهي تصطنع عدم الاهتمام : « كيف جئت الى هنا ؟ جئت مع

مريضة ، ولم أكن أتوقع أبدا أن أجدك في خواماسا يا فيليب »

وأحست أنها بذلك أفهمته أنها لم تتبعه الى الجزيرة وتفحصت عيناه الزرقاوان وجهها وقال :

« ولا أنا كنت آمل أبدا أن أراك هنا ، إنك لن تعرفي أبدا ماذا يعني ذلك لي »

وربما كان من الأفضل لكارول ألا تعرف ، فمن الواضح أنه سمع أن نيستا بروتون جاءت معها بممرضة شابة جذابة ، ولما كان قد ضاق بتحفظ الفتيات البرتغاليات كان مستعدا لأي لقاء جديد لعلاقة أخرى مما كان يسميه حبا ، وبدت ضربة حظ غير متوقعة أن تظهر في الأفق في ذلك الوقت الصغيرة الوردية كارول التي أحبته دائما ، وعاد يقول : « دعوت أن تجمعنا فرصة أخرى من جديد لكني لم أجرؤ أبدا على أن آمل في تحقيق ذلك »

« وما جدوى هذا اللقاء ؟ انتهى كل شيء بيننا يا فيليب »

« هل انتهى حقا ؟ »

« أنت أنهيت كل شيء يا فيليب »

« كنت مجنونا »

« لأنك فضلت فتاة أخرى ؟ إنك حر تماما في أن تغير رأيك. »

« دعيني أشرح قبل أن تقولي شيئا آخر ، حدث ذلك في قطار ، بدأنا نتكلم كما يحدث عادة في الرحلات الطويلة واكتشفنا أننا مرتبطان بالهدف نفسه وعندما وصلنا كنت مأخوذا تماما و اعتقدت أني واقع في حبها وهي لم تكن تعرف شيئا عنك »

قالت كارول وهي عاجزة عن أن توقف زحف المرارة الى صوتها :

« كم يبدو ذلك مناسبا للغاية ! »

فقال : « لا تكوني قاسية ، امنحيني فقط فرصة ، وأعد بأن أفعل كل ما في وسعي لأزيل أسابيع الشقاء »

واستدارت كارول لتواجهه وسألته :

« هل تقول إنك نادم على فسخ خطوبتنا ؟ »

وتجنب ردا مباشرا وقال : « أعرف أني بعت الذهب بالتفاهة ، لم يكن ذلك حبا ، تفجرت العواطف ثم انتهت ... أنا لا أطلب منك الآن أن ترتبطي بي ، اسمحي لي فقط بأن أراك ثانية حتى أجعلك تستردين ثقتك بي »

وأوشكت كارول أن تقتنع اذ اكتشفت أنها لاتزال تحبه ثم تبينت إن ذلك لن يكون عدلا ، إنه لم يكن يعرف شيئا عن الحادث ولا عن الفترة القصيرة التي تبقت لها في الحياة . وهزت كتفيها قائلة :

« الانفصال حدث يا فيليب والجرح اندمل ولا جدوى من تحريك الرماد »

وأشاحت عنه من جديد لأن الجرح لم يكن قد إندمل وكان من السهل أن تلقي بنفسها اليه وأن تبكي عذابها بسبب ذلك الخطاب وما فعله بها . ولكن فيليب يجب ألا يعرف حتى لا يلوم نفسه على نتيجة الحادث ، ولذلك لن تسمح للحب الذي كان بينهما أن يشتعل من جديد .

« عواطفنا لم تصبح رمادا يا كارول ، لم تمت ، تعرفين ذلك مثلما أعرفه إني أعيش في كرب منذ كتبت ذلك الخطاب . بعد ذلك كنت مرتبكا ، لا أدري ما أفعله . أردت أن أكتب اليك ثانية . وأن أطلب منك أن تقبلي عودتي اليك ، ولكني اكتشفت أني لا أستطيع ، لم أتصور أنك يمكن أن تغفري لي وكنت أعلم أنني أستحق أن أفقدك »

« كيف عرفت أنني هنا ؟ »

« لم أكن أعرف ، سمعت أن الآنسة بروتون أصيبت بكسر في ساقها في انكلترا وجئت لأسأل عنها ، وعندما رأيتك هنا تيقنت أنها الفرصة الثانية التي تمنيتها كثيرا »

ثم أضاف وهو اقرب اليها : « ستغفرين لي ، أليس كذلك يا كارول ؟ »

وحاول أن يديرها لتواجهه لكنها قاومت وقالت :

« سأغفر لك اذا كان ذلك ما تريد ، لن يكون بيننا شيء أكثر من ذلك ، ما كان من قبل مات ومن الأفضل أن الأمر تم على ذلك النحو . كان من الممكن أن نتزوج ثم نكتشف بعد ذلك بأننا في الحقيقة غير منسجمين »

وابتسم فجأة واثقا من شدة تأثيره القديم عليها وقال :

« إنك تهذين يا حبيبتي ، هل تعتقدين أني لم أر ما كان في عينيك عندما وقع بصرك علي لأول وهلة ؟ إني لم أصدق في البداية وخشيت أن آمل أكثر من اللازم ولكني الآن متأكد »

وأخيرا صدقته ومرة أخرى قاومته لأنه كان يجب ألا يحبها وقالت بغضب مصطنع : « لا أستطيع أن أقرر ما اذا كنت مخدوعا أو مجرد أعمى يا فيليب . فمهما كان ما تصورته في عيني فهو ليس الحب »

وحاول من جديد أن يضمها بين ذراعيه ولكنه كف عندما انتزعت نفسها منه بتصميم وقالت : « من فضلك يا فيليب ، اذهب ، لا جدوى من الاستمرار في هذه المناقشة أطول مما فعلنا »

وتركها عائدا الى سيارته . لم تعد المسألة قضاء على الملل ، فالصغيرة كارول تتخيل أنها تطرده ؟ في الماضي كانت أشبه بالعجينة بين يديه ولم يستطع أن يفهم القوة العميقة التي تصدت له الآن . كان يعرف أنه لا يحبها ولم يحبها أبدا ، ولكن ذلك لم يمنعه من أن يخطط لوقوعها في حبه من جديد . كانت قد نسيت أن نيستا ممدة على الأريكة أمام النافذة التي تطل على الحديقة ، وأدركت كارول فور دخولها البيت أن المرأة رأت ما حدث بينها وبين فيليب ، حتى ولو لم تكن قد سمعت ما قيل . وقالت نيستا وهي ترمق كارول بنظرة حادة : « اذن جاء لايلاند ، ماذا كان يريد ؟ »

« أن أنسى ما حدث »

« وماذا قلت له ؟ »

« قلت له أن يترك الأمور على ما هي »

وتنفست نيستا في ارتياح وسكتت ثم قالت بهدوء شديد : « هل يعرف؟!»

« تقصدين عن الحادث ؟ »

وهزت كارول رأسها بالنفي وعادت تقول :

« كلا ، تركته يعتقد أنني لا أستطيع الوثوق به »

وأحست باللهفة لأن تذهب إليه تخبره الحقيقة : بأنها لا تشك فيه ، وأنها مازالت تحبه ولكن ذلك كان مستحيلا . واستطردت قائلة :

« لا أستطيع أن أخبره قد يلوم نفسه على ما حدث »

« الواقع إن اللوم يقع عليه »

« كلا ، لالوم عليه . لو لم أكن جبانة مستغرقة في عذابي ما كان يمكن أن أندفع بدون أن أدري وجهتي »

« في أي حال إنه ملوم خلقيا »

« ربما يكون ملوما خلقيا ، ولكنني مازلت لا أريده أن يعرف »

« ولكنه سيعرف يا عزيزتي في وقت ما »

« قد لا يحتاج ، أستطيع أن أجعل كل شيء يبدو لو كان حادثا ، أستطيع أيضا أن أعود أدراجي الى انكلترا اذا اختفيت ذات ليلةفان ذلك سينقذ الجميع

من متاعب الجنازة »

« لا أعرف إن كان علي أن أطيب خاطرك أو أن أصرخ في غضب . إنه هو الذي تسبب في كل ذلك . وأنت تبذلين كل ما في جهدك لتمنعي اكتشافه الحقيقة ، لماذا ؟ »

« لأنني مازلت أحبه ، لذلك تركته يذهب بعيدا ، أعرف من الطريقة التي تكلم بها إنه قد يحبني من جديد ، ولكنني لا أريد أن أعيد النبض الى حبه ، وبهذه الطريقة لن يكون موتي صدمة عنيفة له »

« أحيانا أعتقد أنك حمقاء طيبة القلب »

« أنا مجرد واحدة تحب »

مجرد كلمات قليلة ناعمة ، ولكنها كانت تخفي عذاب قلب محطم ، كانت نيستا تعرف كيف يكون حال الفتيات من نوع كارول .

قد يخلصن لرجل ليس على ذرة من الطيبة معهن ، ثم يخفين تعاستهن وضياعهن وراء ابتسامة ، ولكن كم منهن يمكن أن يمضي شوطا بعيدا مثل كارول ؟

٤ ـ العقد العربي

قالت نيستا بتمعن بينما كانت كارول تدلك ساقها :

« هل حاول الاتصال بك ؟ »

« أرسل الي ورقة يسألني فيها أن أقبل دعوته للعشاء ، لكنني رفضت ، قلت إنني مشغولة للغاية »

« لا تقلقي ..أكون مريضة مشاكسة وأرفض أن أدعك تخرجين حينما يطلب ذلك منك »

واستدارت نيستا في الحال ورمقت كارول بنظرة مباشرة وقالت :

« هل أخبرك لماذا يريد حقا أن يراك ؟ »

« اذا أردت »

فيليب لايلاند يحس بالملل في مكان مثل خواماما وهو يحب الحياة الاجتماعية ولا يستطيع أن يحظى بها هنا لأن المجتمع الراقي في الجزيرة الذي يظن نفسه ينتمي اليه لا يمكن أن يتقبله وهو يعتقد نفسه أعلى من الآخرين ، أعرف أنك لا تصدقينني لذلك سنترك الأمر عند هذا الحد في أي حال بدأت تتغلبين على حبه »

ونظرت كارول الى المرأة التي تكبرها سنا بشيء من الدهشة ، في البداية فكرت أن كلامها لا يخلو من الحقيقة فالألم القديم لم يعد يوجع كثيرا ، ولكن ربما كان ذلك لأنها في أعماقها كانت تعرف أن الألم لن يبقى لمدة طويلة فقد كان محدودا بما تبقى لها من العمر .

ونظرت نيستا اليها محاولة أن ترى ما يقنع القناع الباهت للملامح التي كانت تبتسم في وجه الموت وقالت أخيرا :

« إنني لا أستطيع أن أفهمك يا طفلتي أعتقد أنني لو كنت مكانك كنت

حتما سألعن القدر كل دقيقة في اليوم »

« في البداية كنت أفعل ذلك ثم وصلت الى اتفاق مع نفسي في النهاية ، فمادامت أيامي المتبقية في الحياة معدودة لابد أن أحاول عيشها عادية الى أن يصبح من المستحيل أن أفعل ذلك »

وابتسمت كارول في دعة وذهبت للجلوس تحت أشعة الشمس ومعها كتاب الملك آرثر كما طلبت منها نيستا وفتحت الكتاب كان يبدو قديما للغاية وثمينا وأمسكته بعناية متعجبة من وجود كتب انكليزية في مكتبة فاليب ولكنها تذكرت أنه يتكلم الانكليزية بطلاقة وأنه بدون شك يطالعها كذلك جيدا . وجدت في الكتاب صورتين كبيرتين ملونتين للملك آرثر وأخته غير الشقيقة العرافة مورغانا لو فاي بريشة فنان مشهور ووجدت نفسها تحدق في الصورتين باهتمام ، كانت المرأة مرسومة على أنها جميلة للغاية ولكن جمالها البارد كان يوحي بشيء من القسوة وكانت لعينيها نظرة غامضة وكانت ترتدي ثوبا بسيطا أسود ذا كمين واسعين مثل الكيمونو وحول عنقها عقد من الأحجار الكريمة وبهذه الأحجار نفسها حول الكمين الواسعين والحزام ، وقد صففت شعرها على طريقة القرن الثالث عشر ، وغطته بوشاح زسود طويل لامع . وبعد لحظة قلبت كارول الصفحة لكن من الصعب عليها أن تركز في القراءة وأحست بدفء الشمس يحتويها وشعرت أنها كانت ستستمتع حتما بالحياة في خواماسا ، فقد وقعت في حب الجزيرة رغم القليل الذي رأته منها ، وإن كان فاليب آخر شخص كانت ستعترف له بهذه الحقيقة .

وجذب ذلك تفكيرها الى فيليب ، لقد كان فاليب وفيليب اسمين متماثلين وإن اختلفا في النطق وربما لو كانت الأمور مختلفة لجاءت الى هنا عروسا لفيليب وكانت خواماسا ستبدو لها حينذاك جنة الله في أرضه !

وغفت لفترة وبدأت تحلم كان ذلك خليطا من الحلم والكابوس رأت والدها يحوم حول الحديقة بوجهه الحبيب المألوف ، ثم فجأة رأت فيليب قادما عبر الممر والشمس تلمع فوق رأسه الأشقر كالعادة وجرت لتقابله بذراعين مفتوحتين ، لكن شخصا أمسك بها من الخلف بلا رحمة ولم يدع لها فكاكا . ولم تكن تستطيع أن تراه لكنها توسلت الى آسرها أن يتركها ، ثم ظهرت في رؤياها مورغانا لو فاي التي رأتها في الصورة : كانت السخرية بادية في نظراتها وهي تضحك بقسوة في حين كانت كارول نفسها تتوسل من

جديد لآسرها أن يتركها حتى تذهب الى فيليب الذي كان طول الوقت يتباعد عنها شيئا فشيئا لأن ذراعي آسرها القويتين كانتا تسحبانها الى الخلف الى هوة مظلمة أشبه بتلك التي هوت فيها بعد الحادث .

وأفاقت برجفة حادة وظلت تنظر حولها في الحديقة بشيء من الذهول ثم وقع بصرها على الكتاب الذي كان مفتوحا أمامها وأغلقته بسرعة ، وبنظرة الى ساعتها أدركت إن نيستا لابد أن تكون مستعدة للنزول الى الردهة في الدور السفلي لتستريح على الأريكة وسرت لأن شيئا آخر سيحول ذهنها عن الحلم الغريب . وقالت لها نيستا عندما دخلت الحجرة :

« نسيت أن أخبرك مبكرا أننا سنستقبل زائرا في الصباح »

« أتمنى ألا يكون الماركيز »

وضحكت الآنسة بروتون ورمقت الفتاة بنظرة متفحصة ماكرة وقالت :

« ليس الماركيز ، إنك تكرهينه فعلا »

« إنه يجعل أعصابي تحترق إنه عادة يقول شيئا ما ، ثم يتوقع من كل شخص أن يحقق له رغباته »

« إنك ذات نزعة مستقلة للغاية ، وهو اعتاد خضوع المرأة البرتغالية ، يجب أن تتذكري ذلك »

« أرجو أن يتذكر هو ذلك »

« ربما يفعل »

وأحست كارول أنهما تحدثتا طويلا بشأن فاليب دي ألفيرو ريالتا مادفعها الى تغيير دفة الموضوع فسألت : « من الذي سيزورنا ؟ »

« السنيورا تيريزا أكواراس »

« واحدة أخرى من صفوة خواماسا ؟ »

« إن وصفك قريب فأسرة أكواراس ترتبط بعلاقة صداقة من أسرة ريالتا منذ أجيال ، جاؤوا معا في الماضي الى الجزيرة وهناك شائعات في الجزيرة تقول أن فاليب سيتزوج من ابنة أخ السنيورا أكواراس »

« أتمنى لها أن تستمتع به »

وأطلقت نيستا ضحكة قائلة :

« لديك نظرة مورغانا لو فاي الأسطورية »

« إنه يجعلني أحيانا أتمنى لو كنت بالفعل مورغانا لو فاي الأسطورية هذه .

إن له نفوذا كبيرا في الجزيرة »

« يبدو أنك في أعماقك تحبين أن تتصارعي معي والآن انطلقي وارتدي أحد أثوابك الجميلة فالبب لن يحضر ولذلك لن تكوني مضطرة الى ارتداء زي الممرضة لتضايقيه »

« إنني لا أرتدي الزي الرسمي فقط لأضايقه »

قالت كارول ذلك بشيء من الانفعال رافضة أن تسمح بأن يكون قادرا على أن يملي عليها أي تصرف حتى ولو كان مجرد مضايقته . وذهبت الى حجرتها وفتحت خزانة الملابس ووقفت تتأمل محتوياته بعين ناقدة . واختارت ثوبا من الكتان الأصفر يناسب رقة وجهها ، يضيق عند الوسط وينسدل عند الخصر في طيات متعددة . وبحذر تحسست قمة رأسها حيث كان الجرح العميق ولكنها لم تكن تشعر بأي ألم حتى عندما تضغط عليه . وخرجت الى الشرفة ولمحت غبارا أنبأها عن اقتراب سيارة وأدركت أن ضيفة نيستا وصلت وترددت في النزول متسائلة اذا كانت بوصفها ممرضة يجب أن تظل بعيدة أم تنزل الى الضيوف ، وفي النهاية قررت أن تنزل وتسأل نيستا ما يجب أن تفعله

وحينما فتحت الباب ظهرت السيارة ونظرت نيستا من مكانها فوق الأريكة وهتفت : « يبدو أن السنيورا وصلت »

وسألت كارول : « ماذا يعني بالضبط لفظ سنيورا ؟ اعتقدت أنه لقب المرأة المتزوجة ، ولكن الماركيز ناداني به أيضا »

«إنه بالفعل للمرأة المتزوجةلكنه أيضا الطريقة الرسمية للتخاطب مثل مدام »

« تعجبت ثم اعتقدت أنني يجب أن أدعى سنيوريتا »

« ستكتشفين أن لفظ سنيوريتا طريقة أكثر مودة للتخاطب ، وتعني درجة معينة من الألفة »

وازداد البريق في عيني نيستا لمعانا وهي تستطرد ضاحكة : « عندما يناديك فالبب سنيوريتا فاعلمي أنكما تقدمتما درجة في علاقة الصداقة »

ورمقتها كارول بنظرة جافة وقالت : « أشك أنني سأقدر هذا الشرف »

وتذكرت ما جاء بها وقالت « جئت أسألك ما المفروض مني أن أفعله ؟ »

« ماذا تعنين ؟ تفعلين ماذا ؟ »

« أنا هنا ممرضة ، هل أبتعد عندما تصل السنيورا ؟ »

« كلا بالتأكيد ستبقين هنا معي »

كانت السنيورا أكوارامس رقيقة العظام وكانت مازال رشيقة كما كانت وهي فتاة وكانت عيناها العميقتان شديدتي اللمعان والذكاء . ورحبت نيستا بالبرتغالية ثم أضافت بالانكليزية : « اعذريني لعدم وقوفي يا تيريزا فانني لم أسترد بعد القدرة على استعمال ساقي »

ولاحظت كارول أن نيستا خاطبت السنيورا باسمها الأول دون ألقاب شأنها مع فالبب . وتساءلت في فضول عن الوقت الذي استغرقته نيستا في كسر شكليات المجتمع البرتغالي في خواماسا . لم يكن بالتأكيد غزوا مدبرا فلم تكن نيستا بروتون من النوع الذي يقتحم المجتمع اقتحاما ولكنها كانت ذات طبيعة ودودة تهتم بالآخرين مما جعل لها أصدقاء في كل خطوة لها في الحياة .

وقالت السنيورا بانكليزية ذات لكنة واضحة :

«آسفنا للغاية للحادث الذي وقع لك ،هل ستستردين قدرة ساقك كاملة؟

«هذا ماأكدوه لي وعادت الممرضة كارول معي لتساعدني على تحقيق ذلك »

وتقدمت كارول وتم التعارف الرسمي وأحست بعيني السنيورا الرائعتين الحادتين محدقتين فيها حين سألتها :

« هل هذه هي أول مرة لك خارج انكلترا يا آنسة كارول ؟ »

وكانت السنيورا تتكلم بطريقة مهذبة وإن اصطبغت بالترفع ، ذكرت كارول بعض الشيء بفالبب وأن كانت خالية من ذلك الشيء في سلوكه الذي كان يضغط دائما على أعصابها وأومأت بخجل وقالت : « نعم ، إنها المرة الأولى »

« أظن أنك ستحبينها »

وأحست كارول بأن خجلها بدأ يتلاشى وأشرق وجهها بابتسامة وهي تسأل

« ما الذي يجعلك، تظنين ذلك ؟ »

« لك مظهر من تستطيع أن تستمتع بالحياة في المناطق الحارة »

« آمل أن أستمتع باقامتي في خواماسا »

وسرت رجفة في أوصالها عندما تذكرت ما الذي يمثله الوقت في خواماسا بالنسبة اليها . وفجأة سألت السنيورا : « هل التقيت بالماركيز ؟ »

« نعم »

ولم يكن في نيتها أن تضيف شيئا الى ردها المقتضب بعدما فرضت السنيورا اسمه على الحديث كما لو كان ذلك أمرا محتما . كما لو كان من الصعب ألا يذكر اسمه في أي حديث . وقالت نيستا وفي عينيها بريق واضح كأنها

تعرف ما يجول في خاطر ممرضتها الشابة :

« فاليب تردد مرتين للسؤال عني »

واستطردت السنيورا متسائلة

« وهل شاهدت قصر البالاسيو ؟ فيه جناح مغربي يستحق الاهتمام »

وأجابت كارول بأنها شاهدت جزءا من القصر لكنها لم تفصح عن بقية أفكارها بالكلمات فلم تقل أن الماركيز دار بها وأنه بسلوكه المتباعد المترفع أشعرها بأنه لن يدعوها ثانية للقصر ، وبسرعة أقنعت كارول نفسها بأن ذلك أمرا لا يشغلها على الاطلاق . ولم تبق السنيورا طويلا وبشيء من الدهشة رأتها كارول تقف بعد ابداء ملاحظتها عن القصر بقليل ، ثم استدارت السنيورا ناحية نيستا قائلة :

« آسفة على قصر زيارتي اليوم ، ولكن أرجو أن تسمحي لممرضتك الآنسة كارول أن تتناول الغذاء معي يوما فان سيليستينا وماريتا طلبتا معرفتها »

ولأن نيستا تعرف سيليستينا شكت في الأمر . فلو كانت احداهما طلبت مقابلة كارول لابد أن تكون ماريتا المتدفقة حيوية وشبابا . وقالت نيستا بصوت مرتفع وهي تبتسم للفتاة : « إنني متأكدة إن كارول يسعدها أن تلقاهما »

وتنهدت كارول في ارتياح عندما انصرفت الزائرة وقالت :

« شعرت كأنني في امتحان »

« كنت بالفعل ولكن لا تقلقي اجتزت الامتحان بشرف ، انك الآن ستقدمين الى سيليستينا وماريتا أكوارلس ، وستدخلين مجتمع خواماسا »

وأشاحت كارول بعيدا وفي اعماقها رجفة وسألت :

« إنني أتساءل ، هل تذكرين العهد الذي أخذته على نفسك »

« نعم أذكره ، ولن أعمل على نقضه ، ولكنني أحيانا لاأستطيع مقاومة المرارة رغم إنني أحاول قهرها »

« لماذا لاتذهبين الى لورنزيتو وتلقين نظرة على المدينة ؟ أعتقد إن ذلك سيروق لك »

وترددت كارول ثم بدا لها الاقتراح مقبولا وقالت :

« أعتقد ذلك أنا أيضا هذا اذا كنت متأكدة أنك لاتريدين مني شيئا »

« بالتأكيد لن أحتاج اليك في شيء »

خرجت كارول الى حيث كانت سيارة نيستا الصغيرة في الكراج ، ولم

تتذكر أنها نسيت طلب المفاتيح من نيستا إلا عندما وصلت الى هناك . ورأتها تيريز مقبلة من ناحية الكراج فخرجت من اتجاه المطبخ وهي تلوح باضطراب وتتكلم بانكليزيتها المتهالكة حتى أن كارول لم تستطع في البداية أن تفهم ما كانت تقول .

« هل تريد السنيوريتا تحريك السيارة ؟ »

واستطاعت كارول أن تميز كلمات هذا التعبير الغريب أخيرا وابتسمت قائلة لتيريز : « أريد أن أذهب الى لورنزيتو من معه المفاتيح ؟ »

« الكسول معه المفاتيح »

وغاب جوليو فترة طويلة وأخذت كارول تسلي نفسها بالتجول في الحديقة ولمس الأزهار واسترعت انتباهها نخلة طويلة كأنها تعانق السماء الزرقاء اللامعة . فتساءلت كيف الحال في انكلترا ، هل هناك السماء زرقاء أيضا أم أنها تمطر شأنها عندما غادرت مطار لندن ؟ بدا من غير الممكن في هذه الحديقة الاستوائية بأزهارها المتفتحة أن تكون هناك في مكان آخر من العالم سماء باردة رمادية ملبدة . وسمعت عن بعد صوت تيريز ترطن بالبرتغالية وهي بلاشك تلوم زوجها لتأخيره واستدارت كارول ولم يكن أمامها إلا أن تبتسم في دهشة ، فقد ظهر جوليو في زي نظيف وقبعة عالية فوق شعره الأشيب وبعد ثوان تبينت أنه ينوي أن يقود السيارة بنفسه فقالت وهي تمد يدها لتأخذ منه المفاتيح : « سأقود السيارة بنفسي يا جوليو »

وهزت تيريز رأسها وهي تحدث ضجيجا وقالت بانكليزية متعثرة :

« يجب ألا تقود السنيوريتا السيارة بنفسها ، هذا ليس »

ولم تسعفها الانكليزية فقطعت كلامها ثم أكملته بالبرتغالية فسألت كارول بابتسامة وهي لاتدري بعدما وراء أغراض تيريز :

« تقصدين إن ذلك لايحدث هنا ؟ »

وأومأت تيريز ومن جديد واجهت زوجها كأنما انتهى الأمر وابتدأ جوليو يتقدم نحو الكاراج لكن كارول أوقفته بحركة آمرة لاإرادية وابتسمت للزوجين قائلة : « ربما كانت الفتيات البرتغاليات لايقدن السيارات بأنفسهن ولكنني انكليزية وكثيرا ماقدت سيارة أبي في وطني لاتقلقا إنني أعرف حقيقة كيف أقود السيارة »

وأوشك وجه جوليو المستاء القانط أن يحطم رغبتها في التمسك بحريتها ،

وهمت بأن تبتسم وأن تتخلى عن تصميمها لهذا السبب وحده وعندما فوجئت بتعبير تيريز الفزع وهي تقول : « ولكن يا سنيورا الماركيز »

وفي الحال اختفى ضعفها وبرقت عينا كارول بالشرر حينما انبثقت الحقيقة أمامها وقالت« أتقصدين أن تعليمات الماركيز ألا يسمح لي بقيادة السيارة ؟ »

ولم تكن بحاجة الى إيماءة تيريز لتتحقق من ظنها فاشتد غضبها وقررت أن تذهب الى لورنزيتو بنفسها حتى ولو اضطرت الى السير على الأقدام .

وضغطت على شفتيها بقوة وانفجر بركان غضبها وهي تقول :

« اذا أعطى الماركيز التعليمات والماركيز طبعا يجب ألا تعصى أوامره ، إنني لا أعرف أي نوع من التعليمات أعطاها الماركيز ولكنني لا أهتم لها »

وقالت تيريز : « ولكن يا سنيوريتا »

وأخذت كارول المفاتيح بزهو . كان وجود القطع المعدنية في يدها يعني أن فاليب لم يكسب هذه الجولة على الأقل حتى وإن كانت المعركة عن بعد .

وباحتراس شديد أخرجت السيارة من الكاراج وأمام عجلة القيادة كانت لاتزال تحس بالزهو ولكنها بدأت تنتبه الى احساس صبياني بالذنب وشعرت بأنه سيكون أمرا سيئا للغاية لو تصادف واختار فاليب اللحظة التي تصل فيها الى مفترق الطريق بين القصر ولورنزيتو للظهور ورؤيتها وهي تضرب بتعليماته عرض الحائط . ولم يظهر الماركيز في أي لحظة ووصلت المدينة بدون أية مضايقات . كان ممتعا أن تقود السيارة في الطريق المحفوف بالأشجار من الجانبين رغم سحب الغبار التي تكتنفه وصممت أن تكتشف المدينة سيرا على الأقدام واتجهت ناحيتها بعض الأنظار وهي تركن السيارة في الطريق الواسع الحديث الذي كان جليا أنه وسط المدينة ، وعزت ذلك الى كونها أجنبية ولم تنتبه الى جاذبية صورتها في الثوب الأصفر ذي الذيل الفضفاض .

وعبرت الطريق ومرت أمام مدخل فندق عصري فخم بدون أن تنظر اليه . جاءت لترى جانبا آخر من لورنزيتو ، لم تكن ضمنه الأبنية وبدافع تلقائي استدارت لتدخل أول شارع ضيق قابلها ، ووجدت أن التجديدات الحديثة أقل أثرا فيه ، فالقباب متناثرة بكثرة والشارع ينحدر بضيق شديد ، وبعض الأبنية المتلاصقة يبدو ذا طابع شرقي . ألقت نظرة على ساعتها وأدركت أنها توغلت بما فيه الكفاية وعليها أن تعود أدراجها وحينئذ بدأت المتاعب فشعرت أن الطريق غير مألوف لكنها ماكادت ترى البحر حتى تأكدت مما خشيته ، وكان

عليها بعد ذلك أن تختار بين طريقين ، احدهما تؤدي الى شارع ضيق كانت متأكدة أنه لا يوصلها الى المكان الذي جاءت منه ، والأخرى كانت أكثر اتساعا وتحف بها الأشجار على الجانبين وتتجه مباشرة الى خليج صغير حيث كانت ترسو مراكب الصيد والنزهة . وعادت أدراجها الى الطريق التي تحف بها الأشجار ثم الى شارع أضيق باحثة عبثا عن شيء يمكن أن تتعرف به على طريقها ، لم تكن تعرف البرتغالية وكان الممكن يبدو حيا شعبيا في المدينة . وما كان يمكن أن تجد فيه شخصا يفهم الانكليزية لذلك أدركت أنها ضلت طريقها بالفعل . واستمرت في محاولتها ومازال الأمل يساورها . ووصلت الى محل عاديات ، وتيقنت بصورة قاطعة أنها لم تأت من هذا الاتجاه لأنها ماكان يمكن أن تمر على مثل ذلك العقد في واجهته بدون أن يخطف بصرها . كان العقد وسط مجموعة من السلع غير القيمة لكنه كان يعلن عن نفسه ببساطته الغريبة فمن سلسلة دقيقة كانت تتدلي حوالي ثماني دوائر فضية ومغطاة بنقوش دقيقة ، وأحست كارول في الحال بالرغبة في اقتنائه وكانت النقود معها لكن المشكلة كانت في التفاهم مع البائع .

داخل المحل وجدت شابا وسيما نظر اليها باعجاب واضح حتى أنها أحست بالدماء تتدفق الى وجنتيها لكن تعبيره كان طبيعيا وغير مؤذ على الاطلاق ولم يفهم طلبها وإن ظل يتأملها في سعادة واعجاب بعينين براقتين شديدتي السواد . وأوشكت كارول أن تيأس تماما عندما حجب ضوء الشمس بدخول قامة طويلة الى المحل ولسبب ما ذكرها ذلك بأول مرة رأت فيها فاليب ، عندما دخل فيلا فرانشيسكا . لكن لم يكن لديها من الاسباب مايدعوها الى الاعتقاد أنه كان فاليب من جديد ، بل لم يخطر ذلك على بالها حتى رأت تعبير الشاب البرتغالي يتغير تماما وهو يقول : « السنيور الماركيز ! »

وتجمدت كارول اذ سمعت ردا بالبرتغالية بصوت مهذب ثائر كانت قد بدأت تعرفه جيدا . واتجه صاحب المحل الشاب في الحال ناحية واجهة المحل .

واستدارت ببطء ووجدت فاليب خلفها قريبا للغاية الى حد دفعها أن تتراجع خطوة ، ولمحت في عينيه الداكنتين تلك النظرة التهكمية الحيادية الملازمة له ، اذ قال : « فاجأتني يا سنيوريتا ، فهذه منطقة في لورنزيتو لم أتوقع أبدا أن أجدك فيها »

« ولم لا »

وحاولت كارول أن تحتفظ بصوتها فاترا وهي ترد ، ولكن مما أفزعها أنه كان معبرا عن التحدي ، الأمر الذي لم تكن تريده على الاطلاق ، فقد كان ذلك دليلا على أنه يستطيع أن يثير اضطرابها خاصة عندما أحست بعينيه تتفحصانها بالنظرة الناقدة المعتادة ، آخذة في الاعتبار أنها لم تكن مرتدية زي الممرضة وتستقران فوق تموجات شعرها البني القصير ، وتجدد استياؤها لأنه تأملها أكثر من اللازم بل وأكثر من ذلك ، بدا واضحا أنه وجد التغيير فيها الى الافضل . وقال الماركيز : « لم أكن أعتقد أنك يمكن أن تقتحمي المجهول وحدك لذلك يجب علي أن أصحح رأيي فيك »

وهزت كارول كتفيها حريصة هذه المرة على اخفاء ضيقها وقالت :

« لم أشأ أن أبقى في الأجزاء الحديثة من المدينة »

واستدار الى الشاب البرتغالي الذي عاد بالعقد ورفع حاجبا واحدا في دهشة وقال : « اخترت حلية خطيرة بالنسبة الى شخصيتك الانكليزية الباردة »

« ماذا تعني ؟ »

« ربما يجب ألا أخبرك »

وتأملها بتمعن كما لو كانت ذبابة على طرف دبوس ، تخيلت كارول ذلك وتملكها الغضب بينما عاد هو يقول :

« ربما يجعلك ذلك تخشين شراء العقد »

ورفعت كارول رأسها متحدية وقالت : « لا أعتقد ذلك يا سنيور ، قلت مافيه الكفاية لإخافتي لو أنني اصدق الخرافات »

« شجاعتك تستحق الاعجاب لإقدامك على التعاقد مع المجهول »

وأشاحت كارول بوجهها بسرعة لتتجنب وجهه الباسم الأسمر شاعرة بتلاحق أنفاسها على غير عادة ، ومتسائلة في الوقت نفسه عن المعنى الحقيقي للعقد ، واذا كان للنقوش علاقة بالخطر المزعوم الذي تحدث عنه . ولكنها اعتزمت في أية حال شراء العقد مهما كان تاريخه القاتم ، وبمساعدة فاليب عرفت الثمن ودفعته ووضعت العقد حول عنقها أمامه متحدية تاركة الدوائر الفضية تتدلى من خلال فتحة رقبتها وبيد حازمة تحت مرفقها قادها خارج المحل في اتجاه السيارة الكبيرة السوداء وجعلها الاحساس بيده تشعر من جديد بأنفاسها المتلاحقه الغريبة ، وتضايقت من نفسها لتأثرها بجاذبيته وسحره حتى وهو يسخر منها ، واختفت ابتسامته وعبس حتى تقارب حاجباه وتذكرت هي

فرارها بالسيارة حين سألها بحدة : « أين جوليو ؟ لماذا سمح لك بالتجول في شوارع لورنزيتو بدون أن يكون معك ؟ »

وكان ينظر حوله وهو يتكلم باحثا عن السيارة واضطرت كارول الى الاعتراف بأنه لم يكن هناك جوليو ولا السيارة . وجعلتها لهجته تحس أنها ارتكبت ذنبا عظيما ، واكتشفت أنها تعاني شيئا من الخوف رغم تظاهرها بالهدوء ولم يرد في الحال ولكن شفتيه انفرجتا قليلا عندما فتح باب سيارته وقال : « من فضلك اجلسي يا سنيورا »

ولاحظت كارول في الحال عدوله عن مناداتها بلفظ سنيوريتا الأكثر ألفة وشعرت كما لو كانت طفلة شقية عصت الأوامر وقالت :

« ليس على جوليو لوم يا سنيور فأنا أصررت على المجيء بمفردي »

« لايخالجني أدنى شك في أنه لالوم على جوليو ، يبدو أنك قليلة الاحترام لعادات الجزيرة يا انسة كارول ، ولكن اذا كان في نيتك أن تبقي هنا لأية فترة فمن مصلحتك الخاصة أن تراعيها »

« أنا لم أتعود أن يصحبني مرافق حيثما أذهب »

وضغطت على شفتيها وأحست بتدفق مشاعر الغيظ التي كان يحركها فيها الماركيز دائما وعندما خلفا المدينة وراءهما وصارا في الطريق التي كانت تحف بها الأشجار ألقى عليها نظرة جانبية وسأل :

« لماذا تصرين على إخفاء شعرك ؟ إن له لونا جميلا غير معتاد »

ونطق التعليق بالصوت العادي غير الشخصي الذي استعمله عندما أشار الى أنها لاتحبه وعاد يقول :

« وجهك يحتقن ؟ هل ماقلته من الأشياء الممنوع ذكرها ؟ »

وسددت كارول نحوه نظرة سريعة من عينين واسعتين مذهولتين ، كان حينئذ يبدو في ابتسامة ساحرة لطيفة جعلتها تشعر من جديد بذلك التلاحق الغريب في أنفاسها وقالت : « فاجأتني يا سنيور »

« اذن فلست معتادة على الإطراء أليس للرجال في انكلترا عيون ؟ »

ورمته كارول بنظرة أخرى جانبية لكن وجهه كان خاليا من التهكم . كذلك كان صوته ، ولم يكن أمامها إلا أن تأخذه بظاهرة كلماته ، ولكن ذلك جعلها من جديد في موقف من لاتعرف كيف ترد ، فحينما كان يخاطبها بسخريته المعتادة كان أمر الاجابة أسهل كثيرا ، اذ كان طبعها الحاد

يتولى المهمة ، ولكنه عندما يختار سحر ابتسامته التي كانت تظن أنها المسؤولة حقيقة عن حب الجزيرة بأكملها له ، بداية من السنيورا أواراس المترفعة ، وحتى تيريز شديدة الانفعال فانها تشعر بالارتباك الشديد وقالت أخيرا : « أعتقد أن الرجال عندنا يلاحظون الأشياء غير العادية أو ذات الأهمية الخاصة فقط »

« وأنت ألست ذات أهمية خاصة ؟ »

وقررت هذه المرة ألا تعلق ولكنها كانت واعية بأن احساسها بالعداوة نحو خف رغم أنها أبت نفسها بشدة لأنها تأثرت ببعض الاطراء الأجوف ، فالماركيز دي ألفيرو ريالتا ما كان يمكن أن يجد ما يهتم به حقيقة فيها . وانطلقا بالسيارة لفترة في صمت الأمر الذي رحبت به . وفوجئت تماما بأنها لم تفكر في فيليب ساعات عدة وكانت بحاجة لأن تعرف معني ذلك ، لأنه كان في العادة دائما في تفكيرها ، وأكثر من ذلك نسيت ماكان ينتظرها هو أقل من شهرين ، ربما كان ذلك لأن كراهيتها لفاليب دي زلفيروريالتا شغلتها تماما عن أى شيء آخر لهذا السبب وحده كانت ممنونة له ، ودفع ذلك الشعور بابتساة آسفة بعض الشيء الى شفتيها .

وتساءلت في فضول عما كان يمكن أن يكون رد فعله لو أخبرته إن استغراقها بالتفكير في كراهيتها له ، أبعد عن ذهنها كونها ستموت قريبا ، هل كان ذلك سيؤثر فيه حقا ؟ الماركيز دي ألفيروريالتا كان شخصا عظيما حتى أن مأساة كارول لايمكن أن تعني إلا القليل جدا لديه . وفيليب ؟ اذا عرف كيف كان سيتلقى الخبر ؟ هل كان سيحتويها بين ذراعيه ويقنعها بقبلاته التى أحبتها كثيرا فيما مضى بأن يتزوجا ليعيشا معا الشهور القليلة المتبقية في سعادة كاملة ؟ أحبتها فيما مضى ! وجذبت نفسها بحدة من لجة أفكارها . هل بدأ حبها لفيليب يخبو ؟ هل لهذا السبب كانت صورته في مخيلتها غير واضحة ؟ قد يكون ذلك لأنها أرغمت نفسها أن تسيطر على تفكيرها فيه . أو من ناحية أخرى أن ذلك اللقاء الأخير معه حطم بعض الذكريات الزائفة والآن كما قالت نيستا ، بدأ الانبهار يتلاشى . ومن جديد قطع صوت فاليب عليها حبل أفكارها اذ قال :

« إن لك وجها شديد التعبير يا آنسة كارول ، وهو يفصح بوضوح عما تشعرين به ، أفكارك الآن لم تكن سارة »

« كنت أفكر في أبي »

« وهل ذلك سببا لعبوسك ؟ »

« فكرة فقده تؤلمني »

« هل كنت شغوفة به ؟ »

« بالطبع »

وبدت في دهشة لسؤاله بينما هز هو كتفيه وقال :

« هناك أحيانا أناس لايعترفون بمشاعرهم نحو آبائهم »

« كنا سعيدين للغاية معا . وكانت نهايته مفاجئة ، عدت الى البيت ذات يوم لأجده ساكنا على مقعده .. في .. في البداية ظننت أنه نائم .... »

وقطعت كلامها واعتدلت في جلستها متذكرة مع من كانت تتحدث قد لايعينه أن يسمع عن الحياة العائلية العادية للغاية لأسرة كارول واستطردت تقول بطريقة رسمية : « إنني آسفة يا سنيور لابد أنني أثقلت عليك ، نسيت وتركت أفكاري تسرح »

« بالضبط ... نسيت من أكون ، ونسيت أيضا كراهيتك لي ، أنت مخطئة إنني أحب أن أسمع عن أهلك في انكلترا »

« كنا نعيش حياة عادية للغاية ، لاأعتقد أنها يمكن أن تثير اهتمامك »

« إنك لاتعرفين على الاطلاق ما يثير اهتمامي »

وقطبت كارول جبينها وقالت لنفسها :

حسنا جدا أنت تريد ذلك . وبتأن مدروس حدثته عن ذلك البيت الصغير في الضواحي وعن عمتها العانس التي تولت تربيتها والتي لم تكن تفهم أبدا لماذا كانت تعتلي شجرة التفاح وتجلس فوق أحد فروعها لتقرأ كتابا في حين كانت تستطيع أن تكون أكثر راحة لو أنها اختارت مقعدا .

ورماها فاليب بنظرة مبتسمة مفاجئة وقال : « أنا أفهم إن روح المغامرة كامنة هناك عندما يجلس الشخص فوق غصن الشجرة غير المريح »

وأضافت كارول عابسة : « وأيضا عنصر الخطر فأنا لم أكن أبدا متسلقة ماهرة ، كنت في رحلتي الصعود والهبوط أتعرض للسقوط بملابس ممزقة وكان على العمة إيثيل المسكينة أن تصلحها ، لابد أنني لم أقدر تعب غيري »

وسمعت كارول صوته يقول في غبطة :

« في يوم ما سأريك الشجرة التي اعتدت أن أقع من فوقها أنا »

ودهشت ، كان من الصعب تصور الماركيز دي ألفيروريالتا كصبي صغير

يتسلق الأشجار ويسقط منها ، كان ذلك يجعله بشرا الأمر الذي مازال غريبا .

وقال فاليب بعد لحظة : « سأوصلك الى فيلا فرانشيسكا واسف لعدم استطاعتي البقاء هناك حتى لاأتأخر عن موعد سابق ولكن جوليو يستطيع العودة معي الى القصر والعودة بسيارتك »

وسمعت كارول رنة تهيب في صوتها حينما قالت :

« إنني اسفة على ما سببته لك من متاعب »

وقال بصوت مهذب : « لاتعب على الاطلاق يا سنيوريتا »

وحينما انصرف سألتها نيستا : « كيف وجدت المدينة ؟ »

وابتسمت كارول في لهفة وقالت :

« جميلة وقد تأثرت باغرائها حتى أنني أحضرت معي تذكارا لها »

وأشارت الى العقد الذي كان يحيط عنقها . ثم خلعته وناولته للسيدة المسنة وراقبتها وهي تتفحصه باهتمام ثم قالت نيستا :

« كنت محظوظة ، أعتقد أنه صناعة شرقية يدوية قديمة ، وربما يكون وصل الى هنا منذ سنوات عن طريق إحدى المراكب واذا كانت الكتابة التي عليه بالعربيه فعليك أن تطلبي من فاليب ترجمتها لك »

وبدت الدهشة على كارول وهي تسأل : « هل يفهم العربية ؟ »

« له على ما أعتقد بعض العلاقات بليبيا » بالطبع لابد أن له علاقات منوعة اذ كان يبدو عليه ذا علاقات بكل أنحاء العالم وهو لابد أن يكون ملما بلغة كل بلد له مصلحة فيها . إن ذلك يتناسب مع اعتداده بنفسه الذي لا يحتمل

وقالت نيستا وهي تعيد العقد اليها :

« كيف حدث أن ألتقيت به في لورنزيتو ؟ »

« ظهر في اللحظة التي وجدت فيها صعوبة في محاولة شراء العقد وتكفل بحل المشكلة لي . ثم أخضعني لسماع بعض مزاحه التهكمي »

وقطعت كلامها وهزت كتفيها في سخرية ثم استطردت قائلة :

« ثم اكتشف إني بدون مرافق وأنني قدت السيارة بنفسي الى المدينة ، فأظهر استياءه لذلك بطريقته المؤدبة الباردة »

« إنك تكرهينه حقا ... أليس كذلك ؟ »

« لاأستطيع مقاومة ذلك ... فبطريقته المهذبة الفاترة يقول لك ما يجب عليك أن تفعليه وفي العادة ينتهي الأمر بفرض رأيه ... إنه مغرور ومتعجرف

ومتجبر » وهزت نيستا رأسها وقالت : « كلا أنت مخطئة ، إنها ليست عجرفة إن كبرياؤه غير مقصود ، يجب أن تتذكري أن أفراد أسرته كانوا أسياد هذه الجزيرة منذ أجيال ، أما بالنسبة الى كونه متجبرا فأعتقد أن إصدار هذا الحكم عليه يرجع الى صفاتك أنت المتحررة »

« حسنا ، لايهم اذا كنت أكرهه فان هذا لن يؤثر فيه بأي حال »

ولكنها أدركت أن نيستا كانت على حق فاذ يذكر المرء فخامة القصر ، من السهل عليه أن يدرك لماذا لايعتبر سكان الجزيرة سيد خواماسا انسانا عاديا ولماذا تغير وجه الشاب صاحب المحل التجاري عندما أقبل فاليب الى المتجر فلم يكن في الحقيقة متعجرفا اذ ذاك ، ولاكان مغرورا . أدلت باعترافها الأخير بصوت مرتفع فرمقتها نيستا بنظرة غريبة ثم قال : « إنه غير مغرور على الاطلاق حتى أنه لا يعتقد أن هناك امرأة ستحبه أبدا لذاته »

« ماذا تعنين ؟ »

« ببساطة يا عزيزتي فاليب مقتنع بأنه اذا سمح للحب أن يدخل حياته ، لن يتاكد أبدا اذا كان قد قبل زوجا لثروته ومكانته أم لشخصيته فانه غير مدرك أبدا لجاذبيته الجسدية »

« إنه مجنون ، ماعليه إلا أن ينظر في المرآة إنه أكثر الرجال جاذبية بين جميع الذين رأيتهم »

وتنبهت الى نظرة نيستا المازحة واحتقن وجهها وعقبت قائلة : « هذا بغض النظر عن كوني أكرهه فحتى أسوأ أعدائه لايمكن أن ينكر أنه وسيم »

« منتهى العدالة منك يا عزيزتي حاولي أن تتذكري ذلك متى سمعته يسخر من الحب المرة المقبلة . ليس من الطبيعي لرجل مثله أن يجعل الحب بعيدا عن محور حياته »

« أعتقد ذلك ولكنه لم يوح الي قط بأنه الشخص الذي يمكن أن يخضع للعواطف »

« كلا يا عزيزتي إنه طبيعي تماما ، وأيضا ، لكونه برتغاليا ، فانه سيفرط في شعوره بالحب اذا وقع فيه أنني أرثي له »

« أما أنا فلا أرثي له ، فانه حتما بغطرسته المعروفة لن يترك للفتاة المسكينة الفرصة للخيار »

٥ – الغذاء البرتغالي

بضعة أيام بعد حادث الرحلة الى لورنزيتو وجدت كارول أفكارها تعود الى السنوات التي أمضتها في مستشفى سان كريستوفر . ولم يكن ذلك في الحقيقة أمرا مفاجئا ، لأن البريد حمل اليها ذلك الصباح رسالة من جيني مارسدين . ورغم أنها استمتعت بالرسالة لكنها اكتشفت أن أخبار سان كريستوفر ، ونوبات العمل التي شغلت حياتها لفترة طويلة بدت غريبة وكأنها في عالم بعيد عن جزيرة خواماسا ، وجوها المعطر دائما بروائح التوابل والأزهار بدلا من رائحة الأثير المخدر وغيره من الروائح المألوفة في المستشفى . وفي الحال جلست تكتب ردا اذ كانت تعرف أن جيني ستحب أن تقرأ عن وصف الحياة المتدفقة بالحيوية في خواماسا ، وبالطبع عن سيد خواماسا ! وتسللت ابتسامة الى وجهها حينما قرأت ما كتبته وتساءلت عما يمكن أن يقوله فاليب لو أنه قرأ وصفها له، ورأيها الصريح عنه: كان من المحتمل أن يبهرك لو أنك رأيته ، رغم أنه كان عليك أن تعتادي على طريقته المثيرة في التعامل وكأنه سيد الخلق جميعا، إنه لايحب للمرأة أن تستقل ، وأنا أحس يقينا أنه لايحتمل منظر امرأة في زي أية مهنة ، رغم اعتقادي بأنه لابد أن يسلم أن بعضها ضروري ويجب أن أعترف أنني أرتدي الآن الزي متعمدة لمجرد إغاظته ، اذ لاتوجد فى الحقيقة ضرورة لذلك هنا . كما أن الآنسة بروتون تفضل أن تراني في ملابس متنوعة . لكنه حتى حينما يكون مثيرا للأعصاب يستطيع أن يكون ساحرا في الوقت نفسه . وبالطبع تحاول النساء جذب نظره حيثما يذهب ، وليس ذلك لثرائه فقط بل لأنه في الحقيقة جذاب لأقصى حد »

ونظرت الى ساعتها بعدما أغلقت الرسالة، وتبينت قرب موعد تدليك ساق نيستا. فقامت الى عملها وعلى وجهها علامات الرضى وقالت :

« تحسنت كثيرا ستستطيعين السير بطريقة عادية بعد فترة قصيرة.»

كانت الدعوة الى الغداء قد وصلت من السنيورا أكواراس فى اليوم السابق،واكتشفت كارول أنه قلقة بعض الشيء. فهي المرة الاولى التي ستدخل فيه دائرة مجتمع خواماسا. ووقع اختيارها على ثوب من تلك الأثواب ذات الذيل الفضفاض. وكان مصنوعا من التيل بلون الزرع الأخضر المناسب للون بشرتها التى بدأت تكتسب اللون الأسمر. ووضعت فى قدميها صندلا أسود. وعادت الى نيستا. وسألتها: « كيف أذهب الى هناك؟ هل يسمح لى فى هذه المناسبة أن أقود السيارة بنفسي ؟»

«سيوصلك جوليو الى هناك، وسيمضى الوقت مع خدم الأسرة حتى يحين موعد رجوعك. انه يستمتع بتبادل الشائعات مع الآخرين.»

وكانت فيللا أكواراس عند منحنى الطريق المؤدى الى لورنزيتو، تتوسط مساحة من الأرض لاتساوى شيئا بالمقارنة مع تلك التى تحيط بقصر المركيز، ورغم أن الفيللا نفسها كانت أكبر من تلك التى تشغلها نيستا، لكنها لم تكن تشبه فى شىء القصر الفخم الجميل. وتقدم خادم بملابس رسمية يفتح باب السيارة، ثم ظهرت السنيورا نفسها، وفى الداخل، قابلت كارول لأول مرة سيلستينا وماريتا أكواراس ووجدت نفسها تتفحص الفتاتين البرتغاليتين بعدما تم التعارف، لأنهما كانتا مختلفتين عن أى شخص قابلته من بل.

كانت سيليستينا، إبنة الأخ، أكبر الاثنتين، وحيت كارول بفتور. كانت فتاة جميلة، ذات ملامح نبيلة، وشعر أسود لامع مضموم كالأكليل فوق رأسها، وكانت تصرفاتها فاترة. هذه اذن هى الفتاة المتوقع أن تتزوج من فاليب. لقد كانا زوجين متلائمين.

والتفتت كارول نحو ماريتا، ورغم رسمية اللقاء الأول شعرت بأنها الشخصية التى ستحبها. وكانت ماريتا تصغر ابنة عمها بسنوات قليلة، وليس فيها شىء من تكلف الفتاة الكبرى وكان هناك أيضا مانويل كوريستينا، رجل أسمر نحيل، يبدو فى أوائل العشرينات، ويكبر ماريتا بسنوات قليلة.

وعلمت ان فاليب والدكتور كارل كريستين مدعوان أيضا. وعندما ذكر اسم الأخير، أحست بشىء من عدم الارتياح، لكنه لم يكن ليستطيع أن يكتشف شيئا عنها... لأنها كانت لاتزال تحتفظ بالظرف الذى يحتوى على التقارير الطبية وصور الأشعة. وبعد تبادل بعض الحديث سألت ماريتا:« هل ستدخلين قرعة الأزهار يا آنسة كارول ؟»

«لاأعتقد أنني سمعت عن ذلك من قبل.»

وبصوت مرح قالت ماريتا:« انها مناسبة يجب أن تشترك فيها كل فتاة، فكل زهرة لها معنى، للبعض ستكون رقصة، وللبعض الآخر هدية، أو شيئا آخر، حسب الزهرة المختارة. قالت كارول مبتسمة:« تبدو تلك المناسبة شيئا مسليا... من الذى يمول الهدايا؟»

« بالطبع فاليب. فهمت أنك قابلته.»

وحتى عندما أكدت لها كارول أنها قابلته، اكتشفت لمحة تهكم تزحف الى افكارها. بالطبع فاليب. مالك كل خواماسا تقريبا. السيد المحسن الذى يخفى يدا حديدية خلف القفاز المخملى لهداياه. وتبينت حينئذ أن سيليستينا كانت تراقبها بالطريقة المتهكمة نفسها، فأشاحت عنها بسرعة، لتضبط ماريتا توجه نظرة خجولا الى الشاب الأسمر.

«لم تقولى بعد ياآنسة كارول اذا كنت ستدخلين قرعة جزيرتنا؟»

وجهت سيليستينا اليها هذا السؤال بصوت مائع. غير أن كارول أحست أن العقل الكامن وراء هاتين العينين الداكنتين، يعمل بنشاط فاق وقبل أن تتمكن من الرد انطلقت ماريتا قائلة:« ولكنك ستشتركين بالطبع... وربما فزت بالوردة الحمراء.»

وسألت كارول: « هل لها أهمية خاصة؟»

فقالت سيليستينا متسائلة: « ألا تنطبق الوردة الحمراء بقصتها؟ انها رمز الحب. إنها تخول الفتاة الفائزة بها حق تقبيل من تريد.»

وبهتت ابتسامة كارول، وحلت مكانها الابتسامة الأخرى المؤدبة الخالية من الحرارة التى كانت تواجه بها دائما من لا تطمئن اليه، كما كان شعورها نحو سيليستينا فى تلك اللحظة. وقالت وهى تحاول أن تسيطر على صوتها:

« وهل ترفض الهدية أبدا؟»

وكان مانويل هو الذى تولى الرد وهو يرنو بنظرة خجول لماريتا:

« ان البرتغاليين ليسوا سلالة ترفض القبلات، ياآنسة كارول.»

والتقطت كارول فجأة تعبير وجه سيليستينا فى تلك اللحظة. كانت تراقص على فمها الجميل ابتسامة حالمة جعلت كارول تعتقد أنها لابد أن تكون قد فازت ذات مرة بالوردة الحمراء، وأنها قدمت قبلتها هدية الى السنيور نفسه.

وسألت نفسها في حيرة : ماالذي يعنيها لو أنه احتوى سيليستينا أكوارس

بين ذراعيه، وأحنى رأسه عليها ؟ لكنها اكتشفت أن الأمر يعنيها . فأفزعها ذلك ، وأن قطع عليها التمادى فى التفكير دخول فيليب نفسه . ورحبت به الفتاتان البرتغاليتان بلغتهما ... سيليستينا بسرور متحفظ وماريتا بسرور متدفق ، وكان واضحاً أن ماريتا لم تكن تنظر إلى الماركيز علي الإطلاق باعتباره من المحتمل أن يصبح زوجها ، كما كانت تفعل سيليستينا . ودارت أحاديث مهذبة متفرقة ، وبدا فاليب قليل السخرية . وربما أيضاً غير حيادى كما كان يبدو من قبل وفكرت كارول أن الفضل فى ذلك يرجع إلى سيليستينا . فقد اكتسب جمالها البرتغالى بريقاً زاد من فتنتها ، وكان ذلك كافياً لأن يلين عناد أى رجل ، حتى لو كان نافراً متباعداً مثل فاليب وكان فاليب لطيفاً إزاء ذلك النوع من المزاح ، وكان علي جاذبية لا تكاد تصدق .... وفجأة أحست كارول بالخزى من نفسها للمحة الضعف التى إعترتها . وكان واضحاً أنهم فى إنتظار الدكتور كريستين الذى تبين أنه تأخر فى المستشفى فقد يصل رسول يحمل للسنيورا رسالة إعتذار ، يرجوهم فيها أن يقبلوا عذره . لأنه أستدعى لحالة مستعجلة أو أنه سيحضر متأخراً ليقدم الإعتذار بنفسه .

وجلسوا أخيراً حول المائدة . ووجدت كارول الطعام غريباً ، ولكنه شهياً ،

وسألتها السنيورا :

« هل استمتعت برحلتك إلى لورنزيتو ، يا آنسة كارول »

وردت كارول وهى تتحاشى النظر إلى فاليب :

« استمتعت بها للغاية » .

« سمعنا أنك قدت السيارة بنفسك ، ربما لم تعرفى بعد عاداتنا »واعتملت فى نفسها رغبة شيطانية للمعاكسة لكنها تجنبت النظر إلى فاليب وقالت :

« أثيرت مخاوفى للغاية ، حتى أننى قررت أن أطيع فى المستقبل وكما لاحظت بدون شك . فانجوليو هو الذى أوصلنى اليوم »

وقال فاليب بهدوء :

« لا أعتقد يا سنيورا أنك ممن يمكن إخافتهم . ومما يدهشنى أنك قررت إطاعة التعليمات مع أنك علمت مصدها ».

وسألت سيليستينا ونظراتها مصوبة نحو فاليب :

« ممن كانت التعليمات »؟

« فقال :

« منى أنا ».

وفى الحال اندفعت ماريتا قائلة :

« آه ... ولكن كل النساء لا بد أن يطعنك يا فاليب » .

أما سيليستينا فابتسمت فى فتور وتحفظ مؤيدة الرأى ، ولكن بطريقتها القديمة المألوفة التى كانت تثير غضب كارول .

وقال فاليب وهو يمر بنظراته على كارول التى تشاغلت بالنظر بامعان فى صحتها : ليست كل النساء ، يا صغيرتى

وعادت ماريتا تذكرها بسؤالها قائلة بلكنة غريبة وإن حاولت أن تخرج الكلمات بنظامها الصحيح:

« لم تقولي بعد اذا كنت ستدخلين مباراة الأزهار؟»

ومن جديد أحست كارول بعينيه الداكنتين مصوبتين نحوها تريان أبعد كثيرا مما يجب أي انسان أن يرى ، وتبديان استحسانهما لاختيار ثوبها الأخضر ذي الحزام الأسود الضيق . كان في رأيها خبيرا في نقد كل شيء حتى الحب ... وعلى الرغم من تأكيد نيستا ، كانت متيقنة من علمه بمدى تأثير جاذبية ملامحه السمراء على النساء . هذه الجاذبية التي كان يمكن أن تكون خطيرة لو أنه شاء أن يستغلها . وأجابت بعدما سيطرت على ارتباك ذهنها :

« سمعت عن المباراة ؟ »

واتسعت ابتسامة ماريتا الطفولية وقالت : «ربما تأملين في الوردة الحمراء؟»

وعلق فاليب وفي صوته رنة تهكم :

« الآنسة كارول ستدعو ألا يكون القدر قاسيا معها الى هذا الحد »

وأجابت كارول : « من المؤكد أن القدر لن يضيع مثل هذه الفرصة فيجعلها من نصيب فتاة انكليزية »

ورمقتها عيناه الداكنتان بنظرة استفزازية وقال : « للقدر طريقة في تقديم الأحداث غير المتوقعة ، ماذا ستفعلين اذا فزت بالوردة الحمراء ؟ »

« في الغالب سأناولها للفتاة التي تليني »

قالت سيليستينا وهي ترمقها بفتور : « هذا ليس مسموحا به . إننا نسمع الكثير عن شجاعة الانكليز ، ربما تظهرينها في هذه المناسبة يا آنسة كارول »

« ربما ... سيكون علي أن أقرر وقتذاك »

وسألت ماريتا بسذاجة : « ألا تحبين القبل »

وقالت سيليستينا :

« إن الآنسة كارول تفضل وبدون شك النوع الانكليزي الفاتر »

وكان الحوار يدور بأدب وبشكل عادي ، ولكن كارول ظلت تحس بأن سيليستينا تقصد أن تظهرها ضئيلة ، واستدارت لتواجه الجمال الأسمر مواجهة كاملة وقالت : « أعتقد أن كل شيء يعتمد على لمن تكون القبل »

ولكن ماالذي عليها أن تفعله لو شاء لها الحظ الخرافي أن تدخل القرعة وتفوز بالوردة الحمراء ؟ كان فيليب هو الرجل الوحيد الذي تحب أن يقبلها ،

ولكن حتى لو كانا مازالا مخطوبين فمن العسير عليها أن تفعل ذلك علانية أما فكرة تقبيل أي رجل آخر فكانت مستحيلة ، وأفاقت من شرود أفكارها على صوت فاليب يقول :

« أحرجتم الآنسة كارول . والقبل كالحب أمور لاتناقش في انكلترا »

وحدقت ماريتا في كارول وسألت : « ماهي اذن الأشياء التي تناقش »

وردت كارول « موضوعات مختلفة فالحب ليس الشيء الوحيد في الحياة »

وقال فاليب : « ستخبركم الآنسة كارول أن الحب ضعف يجب السيطرة عليه بل وحتى تجاهله »

ومن جديد أحست كارول بنظرة سيليستينا الفاترة المنطوية على الاحتقار مصوبة نحوها اذ قالت : « ولكن الانكليز اذن لايفهمون الحب يا فاليب ، إنهم قطعا لا يعرفونه كما نعرفه »

وتدخل مانويل الصامت في الحوار قائلا في ابتسامة ودودة :

«ربما تتعلم الآنسة كارول الحب في خواماسا »

« من يدري ! قيل لي أن الحب شيء يثير الاضطراب في اللقاء الأول ، ثم ينمو أقوى وأقوى حتى يصبح نارا مشتعلة تلتهم كل شيء في طريقها »

وقال فاليب معلقا على كلامها : « لك ذاكرة جيدة »

ثم أضاف محذرا : « هل تذكرين أيضا إنني قلت أن حبك الانكليزي قد لايكفي اذا أقمت طويلا في خواماسا ؟ »

« أذكر يا سنيور . وفي أية حال لاأعتقد أنني سأهتم بمثل هذا النوع من العاطفة »

« ألا تهتمين بالحب ، ولكن احترسي فليس من الحكمة أن تتحدي القدر بمثل هذا الجموح »

وضحكت سيليستينا بتهكم ناعم وقالت«الانكليز جبناء في مواجهة الحب»

وبحثت عيناها عن موافقة فاليب بابتسامة متوسلة ، وسألت بالبرتغالية :

« أليس ذلك صحيحا يا فاليب ؟ »

أجاب : « ربما يظهرون شجاعتهم بعدم الزواج على الاطلاق »

ورمى كارول بنظرة استفزازية وسأل : « ألا توافقين يا آنسة كارول ؟ »

وأومأت كارول بالموافقة مصممة على ألا تظهر أنها ليست غريبة على شجن الحب . وقالت لتتفاداه معتقدة أنها تخلصت منه بمهارة :

« إننا معشر الانكليز متعلقون بوطننا للغاية ونعرف التزاماتنا نحو أمتنا »
ووافقها فاليب قائلا بسخريته المعتادة :
« بالطبع ، إنها صلابة الانكليزية العنيفة . وهي تستحق الاعجاب » .
وقالت سيليستينا بصوت واهن :
« الملاحظ أن الموضوع صار مملا بالنسبة للآنسة كارول »
واستدارت صوب كارول وأضافت قائلة : « يبدو أنك ممرضة »
وقبل أن تتمكن كارول من الرد صاحت ماريتا : « أنت ممرضة ؟ من المؤسف اذن أن الدكتور كريستين تأخر ، ستجدان الكثير لتتحدثا فيه معا »
وتصادف أن نظرت كارول الى فاليب في هذه اللحظة فلاحظت أن الفكرة لم تلق قبولا لسبب ما . وجعلها ذلك تصمم على لقاء هذا الدكتور كريستين اذا استطاعت الى ذلك سبيلا . وقالت بسرعة : « أحب أن أقابله »
غير أن غبطتها الماكرة وهي تتحدى عدم رضا فاليب الصامت سرعان ماتحولت الى رجفة غريبة في أوصالها عندما لمحت تعبيره النافر . وقالت لنفسها : ماشأنه هو ؟ ربما كان سيد خواماسا . ولكن كارول ليست إحدى رعاياه ،
وبعد تناول الغداء وجدت كارول أن رغبتها في لقاء الدكتور كريستين ستتحقق بأسرع مما توقعت ، فبعد انتقالهم الى غرفة مجاورة ظهر رجل نحيل أشقر متوسط الطول ، ولم تكن بحاجة الى مراسم التعارف لتدرك شخصية القادم . فبذلك الشعر الذهبي والعينين الزرقاوين اللامعتين ، مع اللكنة الألمانية الجذابة ، ماكان يمكن القادم غير الدكتور كارل كريستين ، الطبيب السويسري ، وأحست نحوه بالتعاطف بالسرعة نفسها التي أحست فيها الكراهية نحو فاليب وانحنى لتحيتها قائلا « سمعت إنك ممرضة ياآنسة كارول»
« أجل يا دكتور »
وأحست كارول كأنها في مستشفى سان كريستوفر حيث تظهر الممرضات للأطباء غاية الاحترام . ويبدو أن شيئا من أحاسيسها ظهر على سلوكها اذ ضحك الطبيب السويسري مازحا وقال : « هذا واضح للغاية ، ولكنني ارجوك ألا تعامليني كأحد أطباء مستشفاك في لندن »
وحول نظرته الباسمة نحو الأخرين واستطرد قائلا :
« ممرضات مستشفيات لندن أحيانا يخفنني بصلابتهن وانضباطهن »
وضحكت ماريتا بصوت مرتفع وحتى السنيورا سمحت لنفسها بالابتسام .

وظلت سيليستينا غير مبالية . ولم تجرؤ كارول على النظر الى فاليب ، اذ شعرت بالألفة نحو كارل كريستين ولم تكن تريد أن يفسد عليها فاليب بتهكمه شعورها هذا . وتساءلت كارول ، لماذا بعض الصداقات يبدأ بمنتهى السهولة وبدون أدنى تعقيد ؟ أدركت بغريزتها أنها هي والدكتور كريستين سيصبحان صديقين . وأحست براحة واطمئنان لهذا الاعتقاد : صديقان لا أكثر يجمعهما إعجاب عميق لايعقده أي شيء آخر . وتنبهت على صوت الطبيب يسألها : « في أي مستشفى كنت تعملين ؟ »
« سان كريستوفر »
وعندما استدارت لتنظر اليه تعجبت لما ارتسم في عينيه الزرقاوين . كانت هناك سحابة قاتمة خيمت عليهما لحظة ثم لم تلبث أن انقشعت سريعا حتى أنها اعتقدت أنها كانت واهمة . وقال الدكتور كريستين وقد تلاشى أثر تلك اللمحة العابرة واختفت النظرة المريرة من عينيه : « أعرف مستشفى كريستوفر ولكن يجب أن تزوري مستشفانا في لورنزيتو يا آنسة كارول »
« سيسعدني ذلك للغاية »
« ستجدين المستشفى في لورنزيتو مختلفا كثيرا بدون شك عن سان كريستوفر . هنا لاتجدين النظام الدقيق الذي يوجد عندكم . إنك تفهمين ... فمن الصعب جدا الحفاظ على ذلك النظام في الأجواء الاستوائية »
وفجأة ارتفع صوت فاليب متدخلا في المناقشة وقال :
« إن الآنسة كارول لن تعتبر ذلك عذرا يا عزيزي كارل »
واكتشفت كارول اختفاء توترها بعدقليل واستمتعت بوقتها متناسية تماما نظرات ماريتا المتمعنة المبتهجة التي كانت توجهها اليها والى كارل ، وأيضا مابدا من عدم مبالاة فاليب الذي لم يقترب منها ثانية .
وحين عادت كارول الى فيلا فرانشيسكا ، سألتها نيستا :
« هل استمتعت بوقتك يا عزيزتي ؟ »
« الى أقصى حد »
وألقت بقفازيها وحقيبة يدها البيضاء فوق المنضدة قبل أن تستدير لتواجه نيستا من جديد قائلة : « لم يكن الأمر مخيفا كما تخيلته »
« ما رأيك في الفتاتين ؟ »
« حسنا ، كان واضحا للغاية سأحب ماريتا ولكنني لاأستطيع حقيقة أن

أزعم أنني أهتم بسيليستينا » « كذلك أنا ، وبذا يمكنك أن تتكلمي بصراحة
. أظن أنها كانت تحاول أن تجتذب فاليب بطريقتها الماكرة المعتادة »

« أعتقد زنهما سيكونان متلائمتين »

ولم تحاول كارول أن تعلل ماإجتاحها من شعور غريب بالضيق ، واستمرت تقول : « التقيت أيضا بالدكتور كريستين »

« أستنتج إنه أعجبك »

« إنك تجعلينني أبدو مغرورة وهوائية للغاية ، لأنني لم أستطع مقاومة كراهيتي للماركيز تماما كما لم أستطع مقاومة اعجابي بالدكتور كريستين »

وسكتت لحظة وقطبت جبينها شاردة ثم استدارت لتنظر الى نيستا مباشرة وقالت : « ماذا حدث له يا آنسة بروتون ؟ »

« ماذا تقصدين ؟ »

« لماذا تبدو في عينيه أحيانا نظرة تائهة ؟ إنه يحاول أن يخفيها ، ولكنها تظهر بين الحين والآخر »

« اذن فقد لاحظتها ؟ »

وقطعت كلامها وهزت رأسها قائلة : « لاأعرف يا كارول . كثيرا مارتبت في أن شيئاً فظيعا حدث له قبل أن يأتي الى هنا »

« وكيف حدث أنه جاء الى مكان مثل خواماسا »

« فاليب أحضره بعدما تقابلا في سويسرا »

ورمقت كارول بنظرة حادة وعادت تقول : « هذا سر . في الواقع كارل لم يطلب مني عدم البوح به لكنني لاأعتقد أنه يريد أن يعرفه الكثير من الناس . لقد كان يمارس المهنة في لندن لفترة من الوقت »

« تكهنت بذلك عندما تحدث عن سان كريستوفر »

وأومأت نيستا واستطردت قائلة : « من الواضح أن شيئا ماحدث في لندن جعله يقرر اعتزال مهنته ، فعاد الى وطنه ودفن نفسه في قرية جبلية صغيرة ، ثم وجده فاليب هناك وأتى به الى خواماسا ، وعهد اليه بمهمة اقامة مستشفى حديث هنا . كان يبدو في ذلك الحين متحفظا للغاية وشديد المرارة »

ومن جديد سكتت عن الكلام وعبست وعادت تقول :

« لكنه بالتدريج خرج من قوقعته وبدأ يضحك من جديد ، ولكن أيا كان ماحدث ومهما كانت طبيعته فانه مازال كامنا هناك في عقله »

« أعرف ، رأيت ذلك عصر هذا اليوم إنه يحاول جاهدا أن ينسى وأن يكون مرحا ويكاد ينجح ، لكن شيئا ما ينغزه من الداخل »

وحينما سكتت عن الكلام أخذت تفكر في حبها لفيليب . لو لم تكن هناك حادثة هل كان ذلك سيكون حالها : محاولة النسيان والتظاهر بالمرح ؟

ولكن كيف يمكن أن يكون الأمر كذلك ؟ كانت تحب فيليب ، زحبته دائما ، ذلك كان شيئا يلازمها دائما ، كان جزءا من حياتها . وزفاقت من شرودها على صوت الآنسة بروتون تقول«هل هناك شيء يقلقك يا عزيزتي ؟ »

« كلا ، ما من شيء هام »

هل كان ذلك حقيقيا أن حبها لفيليب لم يعد هاما ؟ كان ذلك مستحيلا فمنذ فترة قصيرة ، كان محور حياتها كلها ما الذي يمكن أن يحدث هذا التغيير ؟ وقالت لنفسها من جديد إنها تحب فيليب . لكنها تحررت من أسر حبه وأحست لذلك زهوا افتقدته منذ أسبوع . وبعد حوالي أسبوع جاء كارل الى الفيلا زائرا وعندما ميزت كارول لكنته الألمانية ، أسرعت بالدخول الى الغرفة لتسمع نيستا تقول :« تعال يا كارل ، كيف الأحوال في المستشفى ؟ »

« لست مشغولا كثيرا ، لكني مضطر الى البقاء على قرب حالة مرضية غامضة عندنا ولولا ذلك لجئت لرؤيتك من قبل »

ولمح كارول وابتسم قائلا :

« في أي حال عرفت أن لديك ممرضة قديرة ترعاك لذلك لم أقلق عليك »

وردت له كارول ابتسامته وقالت : « شكرا يا دكتور كريستين »

وكانت ترتدي زيها الرسمي واتجهت نظرته الآسفة ناحية غطاء رأسها الأبيض وقال : « نادني كارل من فضلك وإلا فانك بهذا الزي الجامد ستتسببين في هروبي فزعا »

وضحكت كارول ونقلت نيستا بصرها بينهما في رضا اذ كانت تحب أن ترى ممرضتها الشابة مبتسمة وسعيدة وكانت تحس أن في أعماقها شيئا مختلفا هذا الصباح ، واستدار كارل نحو كارول من جديد وسألها :

« هل تستمتعين باقامتك في الجزيرة ؟ »

« إنني مستمتعة بها لأقصى حد »

وانحنى فوق ساق نيستا يفحصها وقال بدون أن يرفع بصره :

« هذا ممتاز هل ستبقين طويلا ؟ »

« أكثر قليلا من شهر »

وأحست في الحال بمدى قصر المدة المتبقية لها . لم تكن تظن أن الوقت سيمر بتلك السرعة فقد مر شهران من الثلاثة التي حددت لها حتى الآن وربما لايكون المتبقي شهرا كاملا . حذروها من أن المدة قد تكون أقصر .

وقطع كارل حبل أفكارها قائلا :

« من المؤسف أنك لاتستطيعين البقاء مدة أطول »

« علي أن أعود الى انكلترا »

وانتصب قائلا :

« ليس هنا ما أستطيع أن أفعله ، فممرضتك تعتني بك الى أقصى حد »

والتفت لحظة ناحية كارول وظل يتحدث معها في أمور تتعلق بساق نيستا وحالتها الصحية العامة ثم ابتسم لنيستا قائلا :

« معذرة لفرض حديث علمي عليك »

« لاداعي للأسف على الاطلاق فانني وجدت المناقشة مسلية حتى ولو لم تكن لدي أدنى فكرة عما تدور حوله ، أعتقد أن علي أن أقوم بتأليف كتاب عما يدور عامة في خواماسا »

وسألت كارول فجأة : « وهل ستكون للقصة نهاية سعيدة ؟ »

ورمقت نيستا عينيها ثم ابتسمت بطريقة تخفي الحزن في طياتها وقالت :

« أجل يا عزيزتي ستكون لها نهاية سعيدة »

وبصوت مرح حاولت به أن تطمئن المرأة المسنة قالت كارول :

« بالطبع ستكون ذات نهاية سعيدة مادامت قصة خيالية »

وقال كارل بمرارة : « آه ، نعم ، النهاية السعيدة ، ولكن ذلك لايحدث كثيرا في الحقيقة هناك أشياء عديدة تفسد تلك النهاية السعيدة »

اذا كانت هناك شيء ما خلف المرارة القاتمة التي كانت في عينيه !

وبتصميم قاطعته نيستا قائلة : « يا لها من مناقشة سقيمة تلك التي بدأتها ، إنني أرفض الاستمرار فيها يا كارل ، دعنا نغير الموضوع في الحال »

وتغير مزاجه في الحال وقال :

« بكل تأكيد ، هل هناك موضوع يهمك التحدث فيه ؟ »

« حاليا أحب أن أشرب الشاي ولما كنت أعرف أنك اكتسبت عادة شربه في انكلترا فانك تستطيع أن تنضم الينا »

وقالت كارول :

« سأذهب لأساعد تيريز أخشى ألا تكون ماهرة في اعداد الشاي »

وانسلت الى المطبخ وهي تدندن لنفسها بلحن أغنية شعبية برتغالية التقطتها من تيريز . اذ بدا أن أجواء خواماسا البرتغالية أثرت فيها بدون أن تشعر ، الأمر الذي كان سيحقق لفاليب الكثير من الرضا ، ولاشك أنها لم تكن ضد تعلم بعض الكلمات البرتغالية أو التقطتها أثناء اقامتها في الجزيرة ، لكنها من ناحية أخرى لم تكن تريد لفاليب أن يعرف ، لقد بدا لها ذلك كما لو كان خضوعا منها لإرادته المستبدة . وحينما حملت صينية الشاي الى الحجرة قفز كارل ليأخذها منها ، ووضعها فوق المائدة ولاحظت عينيه تتجهان الى خصلات شعرها المتهدلة فوق جبينها وتبينت حينئذ أنها لم تثبت غطاء الرزس باحكام . وهمست معتذرة ، وقال كارل وبريق في عينيه : « لاداعي للأسف ، لماذا تشدينه الى الخلف على هذا النحو ؟ إنه شعر جميل للغاية »

وكان هو ثاني رجل يقول الشيء نفسه ولكن على نقيض المرة التي سمعتها فيها من فاليب ، لم تضايقها الملاحظة وأجابت في حزم :

« لأنها الطريقة الوحيدة للاحتفاظ بثبات الغطاء في مكانه »

وقالت نيستا متذمرة ، وإن بدا في عينيها بريق كانت كارول تعرف أنه بريق المشاكسة البريئة : « لاأدري لماذا ترتدينه ، في كل مرة يأتي فاليب ، أعتقد أنك تفعلين ذلك لأنك تعرفين أنه لايحب المرأة في أي زي رسمي »

« إنه لا يحب المرأة في زي رسمي لأن ذلك يضفي عليها روح الاستقلال وهو لايحتمل النساء المستقلات . أعتقد أنه يريد النساء جميعا مكتملات الأنوثة والخضوع للرجال مثل نسائه البرتغاليات المكسوات بالحرير »

وسأل كارل وفي عينيه نظرة دهشة تنطق بأنه هو أيضا لايستطيع أن يتصور أحدا يكره فاليب : « ألا تحبين الماركيز ؟ »

وأجابته نيستا بجفاء « أليس ذلك أمرا واضحا ؟ إن كلا منهما يثير الآخر »

واعترضت كارول قائلة في شيء من عدم الارتياح :

« إنك لاتستطيع أن تقاوم كراهيتك لبعض الناس ، وإن كانت قد مرت بي فترات أوشكت خلالها أن أحبه »

أدلت باعترافها هذا بشيء من الامتعاض ، واستطردت قائلة : « في أي حال أعرف أنني من الشواذ فكل شخص آخر يبدو أنه يحبه لدرجة كبيرة »

قال كارول بهدوء : « إنه رجل كريم ، والمستشفى يدار كلية بفضل كرمه . مرات كثيرة فكرت في أن معدات ما قد تفيد المستشفى ولم أقدم على سؤاله لأنه قدم الكثير ، وبطريقة ما كان يعرف ، واذ بالمعدات تصل ، إنه يشغل نفسه بكل شخص فى الجزيرة ولايسمح لأحد أن يتعذب . منذ فترة قصيرة أصيب أحد الصيادين ولكنه لم يشأ أن يترك عمله من أجل أسرته واكتشف الماركيز الظروف . ولاأحد يعرف كيف اكتشفها ، فأرسل الرجل الى المستشفى وظل ينفق على الأسرة حتى شفي ، وتوجد حالات أخرى كثيرة مشابهة »

قالت كارول : « لا أنكر كرمه . ولكن له طريقة استبدادية لحد ما »

« إنها جزء منه . فأجداده كانوا ملوك خواماسا غير المتوجين لمدة أجيال ملك خواماسا غير المتوج . كان ذلك بالضبط هت تقييم الوضع .

قالت كارول مبتسمة : « من الواضح إنك تحبه »

« كان طيبا معي للغاية . ولكن ليس لهذا السبب وحده أحبه »

وبعد انصراف الدكتور كريستين وانشغال تيريز في المطبخ انفردت كارول بنيستا التي تنهدت قائلة : « إنني أحب الزوار ولكن يجب أن أعترف بأن المجهود الذي أبذله للظهور مرحة ومشرقة يكلفني أحيانا الكثير »

« لاأعتقد أنك مضطرة الى بذل جهد كبير إنك تتقبلين عجزك باقتدار »

« ليس عندي إلا القليل يستحق التذمر »

وترددت ثم رمت الفتاة بنظرة سريعة وبعد ذلك انشغلت بفحص الحجر الصغير الماسي في الخاتم الذي كانت تلبسه في يدها اليمنى . الخاتم الذي كان يوما خاتم خطوبتها . وقالت بتردد :

« عندما يستحق الشكوى أكثر مني بمراحل »

« هل هناك ... هل بدأت ... »

وأكملت لها كارول عبارتها قائلة في صوت هاديء أدهشها :

« تقصدين هل بدأت الآلام ؟ . ليس بعد ، في الغالب لن يحدث ذلك قبل مضي فترة شهر »

« شهر ! » وأطبقت نيستا صامتة ذاهلة زمام القدر المحتم .. ولاحظتها كارول ، وأدركت أن شيئا آخر يجول في خاطرها . لكنها انتظرت حتى اختارت نيستا أن تتكلم من جديد .

وقالت :

« كارول . أعرف أن أحد أسباب موافقتك على المجيء الى هنا معي أن أحدا لن يعرف عن ... الحادثة .... ولكن ألا ترين أن كارل يجب أن يخبر ؟ »

« ليس هناك ما يستطيع أن يفعله . مازلت أحتفظ بالتقارير التي أعطيت لي من المستشفى ولكنني لست مضطرة الى اعطائها اليه إلا اذا رغبت في ذلك »

« قد تحتاجين اليه قرب النهاية »

« اذا حدث ... فسيكون ذلك هو وقت اخباره »

٦ – الوردة الحمراء

لم تسمع كارول شيئا عن قرعة الأزهار، حتى ذكر الموضوع فى فيللا أكواراس. ومنذ ذلك أخذت تسمع عنها كل يوم. وارتفعت فى خواماسا حمى الانفعال والترقب. حتى تيريز كانت تتحدث عن المرات التى اشتركت فى هذه القرعة. ثم تزايدت تيارات المرح فى لورنزيتو مع اقتراب موعد القرعة. وذات مرة، بينما كانت كارول فى المدينة، شاهدت السيارة السوداء المألوفة التى تعلو مقدمتها اشارة ريالتا، وبدوافع خفية تلفتت حولها بحثا عن فاليب. وعندما رأته خارجا من بناية مزخرفة واسعة مع سيليستينا، سرت قشعريرة فى كيانها، حتى أنها هرعت بسرعة فى الاتجاه المعاكس. كان رأسه الداكن منحنيا ناحية رفيقته الجميلة، ومن الواضح أنه كان لاهيا عن أى شىء آخر، وكان غريبا على فاليب أن يبدو على النحو العاطفى. لكن سيليستينا كانت خارقة الجمال، وفاليب كان بشرا على الرغم من تحفظه.

وانتهت كارول من شراء طلبات نيستا، وعادت الى سيارة حيث كان جوليو فى انتظارها، وكان الاثنان الآخران قد اختفيا عن نظرها، لكن لم تكن من السهل أن تبعدهما عن ذهنها. هل كان فاليب سيتزوج سيليستينا؟ بدا أن ذلك كان متوقعا فى الجزيرة، وما كانت سيليستينا لتبقى بعيدا عن وطنها البرتغال لو لم تكن هى الأخرى تتوقع ذلك، ولكن هل كانا متلائمين حقيقة؟ لم يكن ذلك فى الواقع شأنها، لكنها عجزت عن مقاومة التفكير فيه. وعندما وصلت الى الفيللا، وجدت فى انتظارها دعوة من ماريتا أكواراس لترافق الأسرة يوم قرعة الأزهار وأطلعت نيستا على الدعوة وسألتها:

« هل يضايقك أن ألبى الدعوة؟ »

« كلا بالطبع.. تلقيت أنا أيضا دعوة مثلها، ستجدينها خبرة ممتعة. ورمقت ممرضتها بابتسامة ماكرة وقالت: « وقد تختارين وردة. »

« لا سمح الله. حذرونى من ذلك. واستدرجونى للتعبير عن ردود فعلى

الممكنة. »

« من فاليب كما أفهم؟ »

« ومن غيره؟ انه يعطى لنفسه الحق فى أن يتدخل فى كل شىء. »

« أعتقد ياعزيزتى أنك تتعمدين إثارته. »

« تقصدين لأننى أرد على استفزازاته؟ »

واشتعل فى عينيها بريق حانق وهى تستطرد قائلة:

« أى شىء آخر كان مفروضا من فعله؟ »

وضحكت نيستا، ورفعت يدها وهى تتظاهر بالخوف. وقالت:

« لا تحملقى فى كارول. »

سألت كارول: « أى نوع من الملابس يلبس فى هذا المهرجان؟ »

« المشكلة الآن فيما سوف ترتدينه فى عيد الأزهار، ما رأيك أن نذهب ونفحص معا دولاب ملابسك؟ »

« سأحضر ملابسى الى هنا لئلا تزعجنى نفسك. »

وصعدت الى الطابق العلوى بسرعة، وفتحت خزانة ملابسها، وتأملت محتوياتها واستقرت عيناها على ثوب أسود مخملى طويل، ولاحت ابتسامة أسفة على وجهها، كان ذلك ثوبا لم تتوقع أبدا أن ترتديه، ولكن كان إغراؤه شديدا حتى أنها ابتاعته، لمجرد أن تنظر اليه، وأن تلمسالمخمل الناعم، وتبينت حينئذ، وقد اعترتها صدمة خفيفة، أنه مماثل للثوب الذى كانت مورغانا – لو – فاى ترتديه فى الصورة المنشورة فى الكتاب. وابتسمت لنفسها وهى تعيد الثوب الى مكانه، وبدا لها حينئذ أن الثوب لن يرتدى أبدا. وعادت الى محاولة انتقاء ما هو مناسب للعيد، واخيرا اختارت ثلاثة أثواب، وأخذتها معها الى نيستا. ورمقتها نيستا بنظرة ماكرة عندما دخلت، وقالت: « لابد أنك تملكين العديد من الأثواب، حتى استغرقت كل هذا الوقت فى اختيار ثلاثة. »

« صحيح، اذ انفقت كل مدخراتى قبل أن آتى ثم أنى كنت أعدت ملابس عرسى. »

واستطاعت أن تنطق الكلمات الأخيرة بدون اى اختلاجة فى صوتها، لأن التفكير فى فيليب لم يعد يؤلمها على الاطلاق. وتجاهلت نيستا موضوع فيليب، وركزت التفاتها الى الأثواب الثلاثة، غير مدركة أن فيليب أصبح فى الحقيقة غريبا تماما بالنسبة الى كارول، وأنها صارت تعجب من تصورها أنها

أحبته. واستبعدت نيستا ثوبين بدون أن تنظر اليهما، رغم جاذبيتهما، لأن الثالث أستأثر باعجابها الكامل. وقالت : « بتصميم:« هذا الثوب! »

وكان فى صوتها من الاقتناع ما جعل كارول لاتجادل فى الأمر، حتى ولو لم تكن هى نفسها اختارته تقريبا قبل أن تقرر نيستا. وأمسكت بالثوب فى اعجاب، وتفحصت تنورته المصنوعة من الحرير الأخضر الزمردى الثقيل، والجزء العلوى المصنوع من القماش الخفيف الأورغاندى الأبيض ذى السترة القصيرة المطرزة بالدانتيل. وبزغ فجر يوم الاحتفال مشرقا صافيا، شأن حالة الطقس فى خواماسا، قبل موعد هبوب العواصف الشديدة، التى يضطر معها السكان الى الاعتصام ببيوتهم، وترك الجزيرة لعواء الطبيعة. واستيقظت كارول مبكرة، وقدمت خدماتها المنتظمة لنيستا وساعدتها على ارتداء ملابسها، قبل أن تذهب لترتدى ثوبها الفضفاض، وقالت نيستا عندما رأتها:

« يبدو أنك مولعة بالتنانير الفضفاضة.»

«أعترف بأننى ضعيفة أمامها، والغالب أن ذلك رد فعل لارتدائى الزى الرسمى كثيرا.»

«ظننت أنك تحبين ارتداء زى التمريض، أم أن ذلك لمجرد مضايقة فاليب؟»

« هل سيحضر المهرجان ؟ »

« بالطبع . »

واستدارت ناحية جوليو الذى دخل الغرفة متألقا فى ملابسه الرسمية، وسألته : « هل السيارة جاهزة ياجوليو؟ »

وأحنى جوليو رأسه ورد بالبرتغالية. واتكأت نيستا على العصا، وخرجت السيدتان الى حيث كانت تقف السيارة، التى انطلقت بهما فى الطريق المودى الى لورنزيتو. وكانت مظاهر العيد تبدو واضحة فى الطريق. العربات التى تجرها الخيول، والسيارات القديمة المتداعية، وعربة تجرها البغال. ولوحت لهم الفتيات اللواتى ارتدين الثياب الزاهية، وتطايرت الشرائط التى تزينهن مع النسمات الرقيقة. وتعالت الأصوات تحييهم فى برتغالية ناعمة. وقالت كارول حينما دخلوا المدينة واخذوا يشاهدون معالم أكثر للعيد:« هذه إحدى المناسبات التى أشعر فيها بالندم لأننى لاأعرف البرتغالية.»

وقالت نيستا: « هذا أمر مؤسف. لو انك تعرفين فقط كلام الحب.»

ورفعت كارول حاجبيها، وقالت بجفاء: « لاأظن أن هناك احتمالا لذلك.»

«إن ضيوف أسرة أكواراس سيكونون بكل تأكيد مجموعة كبيرة، وستضم واحدا او اثنين غير مرتبطين، فكونى على حذر.»

ثم ربتت نيستا برفق على ذراع كارول وقالت: « أتمنى أن تستمتعى بالاحتفال، هل تعتقدين ياكارول أنك تحصلين من بهجة الحياة على ما فيه الكفاية؟ لاأريد أن أقولها، ولكن لم يبق الا القليل.»

ولم تحفل كارول من الكلمات، وهزت رأسها قائلة:« أنا لست هنا للسياحة والتنزه، فقبل أى شىء آخر، أنا ممرضة، حتى ولو لم أكن أعمل الا القليل، وفى أية حال، لم أشعر أبدا بالرغبة فى نزوات عابرة، وأشك فى أن يكون عندى الحافز لأبدأ الآن.»

اخترقوا المدينة الى لشارع الواسع حيث تركت كارول السيارة فى زيارتها الأولى المشهورة، ولكن هذه المرة أوقفها جوليو فى المكان المناسب. وعبرت كارول ونيستا الطريق الى حديقة المطعم حيث كانت ستتناولان الطعام مع بقية المدعوين الى حفلة آل أكواراس. وكان مطعم ديسكانى أفخم مطاعم لورنزيتو واشهرها وهو من طابق واحد على الطراز المغربى، الموائد موضوعة فى الداخل حيث الأرض الرخامية، وفى الحديقة الجميلة التنسيق حوله، عناقيد المصابيح التى توقد فى المساء تربط بين الأشجار، وعطر الأزهار والنباتات يفوح بين الموائد، وفى المؤخرة فرقة موسيقية صغيرة تعزف أنغاما ساحرة. ووجدتا آل أكواراس وضيوفهم حول مائدة كبيرة تحت شجرة مزهرة وكما توقعت نيستا، كان هناك عدد من الأغراب، ومنهم من كان فى سن الشباب، وسرعان ماتعرفت نيستا بكل الموجودين، أما كارول فرغم أنها قدمت الى الجميع، لكنها كانت متيقنة أنها لن تتذكر الأسماء بعد ذلك... وشعرت براحة عندما جلست بجوار كارل كريستين، الذى حياها بما خمنت أنها اللغة الألمانية، ولم تستطع كارول أن تقاوم اغراء الرد عليه باللغة نفسها. وبدت راضية بما ظهر عليه من الدهشة. وهو يسألها:« هل تفهمين الألمانية؟»

« أفهم الألمانية وأتكلمها بطلاقة، ولكننى لم أتبين تماما ما قلته.»

« كانت تلك الألمانية السويسرية. انها معقدة قليلا.»

« أعتقد أننى فهمت ما تعنيه.»

ووجدت كارول نفسها تتأمل يديه الرقيقتين الماهرتين، كانت تميل الى الحكم على الآخرين عن طريق أيديهم، الكثير كان يمكن معرفته بهذه

الطريقة، وربما باستثناء الحال مع فاليب. كانت يدا كارل تنمان عن يدى جراح، بالغريزة فطنت الى ذلك، ولكنه دفن نفسه فى خواماسا، لماذا؟ ومن جديد عاودتها الأفكار، ان شيئا ما فى ماضيه أرسله الى خواماسا لينسى. كانت متأكدة من ذلك، كما لم تكن كتأكدة من أى شىء آخر مت قبل، وأفاقت كارول من تأمل يديه على صوته يسأل:

« ألم ترى مثل هذه الاحتفالات من قبل؟ »

« كلا ... لم أر... ماذا يفعلون ؟ »

« بعد الغداء سنذهب لمشاهدة سباق قوارب الصيد، وستمنح جائزة لأسرع قارب يدور حول العوامة ويعود الى الميناء، وسيستغرق ذلك وقتا طويلا، لأننا ستلقى أولا نظرة على القوارب، وبعد ذلك سيحتفى بالفائز، وطوال هذا الوقت سنأكل أشياء متنوعة شهية، ولكنها عسيرة الهضم. ولذا لن نقبل على العشاء عندما يحين موعده.» ثم لمعت عيناه حينما أضاف:

«أعتقد أنى بدلا من ذلك سأغازلك بالألمانية.»

« لن تفعل شيئا من هذا القبيل... وفى أية حال فأنا أفهم الألمانية.»

ثم انفجر الاثنان بالضحك فى الوقت نفسه. واتجهت الأنظار اليهما، وأحست كارول بحرج لاحتقان وجنتيها، ربما كان ذلك بسبب نظرات سيليستينا الاحصة الساخرة، اذ قالت وهى ترنو ناحية ماريتا بنظرة جانبية:

« يبدو أن ابنة العم الصغيرة على حق، الممرضة كارول والدكتور كريستين عندهما دائما الكثير من الأحاديث الطويلة التي تثير بهجتهما.»

قال كارل بشىء من الجرأة: « كنت أهدد بمغازلة الممرضة كارول، ولكننى اكتشفت أنها تفهم الألمانية مع الأسف.»

« وهل هذا شىء يندم عليه؟»

وكان السؤال من شاب أسمر نحيل، يجلس على الطرف الآخر للمائدة. وتذكرت كارول أنه قدم اليها باسم ريناتو ألدور. واستطرد الشاب قائلا:

« أنا لاأحب أن أغازل واحدة لاتفهمنى.»

قالت ماريتا:« ولكنه وضع يمكن اصلاحه ياريناتو.»

« هذا صحيح... يبدو أنك في حاجة الى معلم للبرتغالية ياآنسة كارول.»

ورمقته كارول بنظرة متوجسة، غير متأكدةمن جديته، ولمحت فى عينيه الداكنتين شبح ضحكة، وصار الموقف أكثر وضوحا عندما مالت الفتاة التى

كانت تجلس بجانبه الى الأمام، وابتسمت لكارول قائلة: « يجب أن أحرك من أخى ... انه يجيد ما تسمونه فن الدعابة.»

قالت كارول وهي ترى الضحكة تعمق في عيني ريناتو:

« ظننت ذلك بالفعل ! »

فقال هو على الفور : « ومع ذلك فانها دعابة يمكن أن تؤخذ بجدية ، هل ترغبين في تعلم البرتغالية ؟ »

وقبل أن تستطيع كارول الرد استدارت سيليستينا الى ريناتو وقالت بصوتها الأجش المتعالي : « أعتقد أنك تجعل الآنسة كارول لاهثة الأنفاس بعض الشيء إنها إنكليزية ومعتادة على التعارف البطيء الخطوات »

كانت كارول تكاد تمسك بلسانها داخل فمها لكيلا تنطق ثم تطلعت بنظرة ضاحكة في عينيها ، لم تجعل ريناتو يشك في صدقها حين قالت : لا أعتقد زنني زستطيع القبول لأنني سأترك الجزيرة بعد أسابيع قليلة »

فانبرت ماريتا قائلة « هذا موسف للغاية ألا يمكنك تغيير رأيك والبقاء ؟ »

« عن قريب لن يكون لدي ما أعمله فقد استجابت ساق الآنسة بروتون للعلاج على أحسن وجه وعملي القديم في انتظار عودتي »

« هل يجب أن يكون عملك في مستشفى في انكلترا ؟ إنني على ثقة بأن الدكتور كارل بحتاج الى المزيد من الممرضات في مستشفاه »

قالت سيليستينا :

« ربما لم تتبيني أن الآنسة كارول متعلقة بوطنها أكثر من تعلقها بجزيرتنا »

وأجابت كارول وهي تتساءل عن سبب معاملة سيليستينا لها على ذلك النحو الذي ينم عن كراهية :

« ليس بالضرورة . كنت أحب أن أبقى في خواماسا لو كان ذلك ممكنا »

فسأل كارل : « لماذا إذن لاتقدمين على ذلك ؟ إن ماريتا على حق فاننا بالفعل بحاجة الى المزيد من الممرضات في المستشفى »

واجتاحتها موجة شجن في ظروف أخرى ما كانت لتتردد في قبول هذا العرض الآن لم يكن أمامها خيار كان عليها أن ترفض وبهدوء قالت :

« إنني أقدر العرض وكنت أحب حقيقة أن أبقى لكن توجد أسباب شخصية تحتم عودتي الى انكلترا »

وبعد الغداء اتجه المدعوون الى الداخل للجلوس في غرفة فاخرة التأثيث

يشربون القهوة على أنغام الموسيقى حتى تخف حدة شمس منتصف النهار . وكان الحديث خلال ذلك يدور متقطعا ، لكن بعد فترة استرد الجميع حيويتهم من جديد وبدأ التحرك في اتجاه السيارات . وأثناء الخروج اقترب كارل من كارول وأحنى رأسه الأشقر ليتكلم معها قائلا :

« عهد الي بمهمة مرافقتك ، هذا اذا لم أستدع الى المستشفى ، أرجو ألا يضايقك ذلك »

« على الاطلاق ، تمنيت أن تكون أنت وليس ريناتو أو واحدا من البرتغاليين المندفعين »

ولحقا ببقية المدعوين الى حيث نصبت خيمة حديثة ، رصت فيها المقاعد للسيدات ، اذ شغلت نيستا بالتحدث مع السنيورا ، لمحت كارول ماريتا ومانويل عن طريق الصدفة يتسللان خارجين معا . ومن نظرة عين كارل أدركت أنه هو أيضا لاحظ ذلك وقالت له :

« كنت أظن أنه غير مسموح لهما بالتجول وحدهما »

« في يوم العيد يسمح بتخطي التقاليد الى حد ما »

وأشارناحية قوارب الصيد الراسية على الشاطيء وقال :

«هل نلقي نظرة على القوارب ونحاول أن نقرر أيها سيفوز »

وأومأت كارول بالموافقة وافترقا عن الباقين وانضما الى جموع الناس المتجهة الى الشاطيء وسألها كارل : « أين تعلمت الألمانية ؟ »

« بعض دراستي يرجع الى المدرسة ، وبعضها الى أبي ، وبعضها الى ممرضة ألمانية في سان كريستوفر ، لاأدري حقيقة لماذا تعلمتها »

« خاصة لتقابليني »

« بالطبع »

« وانفجر الاثنان ضاحكين من جديد .

« أعتقد أن أحد اسباب إعجابي بك يا كارول شعوري بأننا سنكون صديقين حميمين بدون أي تعقيدات أخرى »

« تقصد أن أحدنا لايمكن أن يقع في حب الآخر ؟ »

« إنك جذابة للغاية ، وفي يوم ما سوف يحبك شخص ما ، ولكن ذلك لن يحدث لنا ، سنكون مجرد صديقين »

« هذا أحد الأشياء التي أحبها فيك أيضا شعرت بالشيء نفسه منذ التقينا »

« هذا رائع ، هل نذهب الآن لنلقي نظرة على القوارب يا عزيزتي ؟ »

ونطق الكلمة الأخيرة بالألمانية رغم ذلك اللفظ العاطفي أحست كارول إنه استعمله بمعنى الصداقة وشعرت بغبطة وهي تسير معه وقال كارل :

« أعتقد أن هذا القارب سيفوز »

وهزت كارول رأسها قائلة : « كلا ! »

ثم أجالت بصرها فوق طابور القوارب واستقرت بهما على واحد بعيد وقالت

« بل هذا يبدو الفائز »

وفحص كارل بدوره القارب الذي أشارت اليه وقال : « لا أعتقد ذلك ! »

وأشار الى الاسم المرسوم على جانبه واستطرد قائلا :

« كيف يفوز قارب له مثل هذا الاسم ؟ »

« بل إنه سينطلق مثل الريح ، هذا هو الفائز »

« بماذا تراهنين ؟ »

« نصف دزينة مشارط يا دكتور »

« آه ، إذهبي بعيدا عني أيتها .. أيتها الممرضة ! »

« بكل تأكيد يا دكتور »

وخطت كارول الى الوراء قبل أن يستطيع كارل ايقافها وكان وجهها مشرقا واقفا خلفهما واستدارت باعتذار على شفتيها ووجدت نفسها تنظر مباشرة في عيني فاليب . ولمدة لحظة جعلها الارتباك تتأخر عن الاعتذار ثم قالت :

« إنني آسفة يا سنيور ، لم أكن أدري أنك هنا »

« وكيف كان لك أن تعرفي وقد وصلت لتوي ؟ »

وكانت لهجته عادية وحينما نظرت بسرعة الى وجهه كان التحفظ منعكسا عليه . وقال كارل : « وصلت يا فاليب في الوقت المناسب فاني أظن أن كارول كانت على وشك أن تهجرني »

واستدار فاليب لينظر الى كارول التي أخذت تنكمش تحت وطأة نظرته الغامضة المقنعة وسأل : « لماذا تريدين هجر صديقنا الطبيب كارل ؟ كنتما منذ لحظة وجيزة منسجمين، أعتقد أنكما كنتما تتحدثان بالألمانية ؟ »

وأومأ كارل قائلا« كانت مفاجأة سارة أن أكتشفت كارول تعرف الألمانية »

وقال فاليب : « أنت محظوظ في ذلك يا صديقي ، فقد اكتشفت عزوفها عن البرتغالية ، أليس ذلك صحيحا ؟ »

وألقى بنظرة جانبية نحو كارول يستفزها بها لأن تنكر صدق تعليقه ، وردت هي بأدب : « ليس الأمر كذلك تماما يا سنيور ، لكنني فكرت في أن الأمر لايستحق تعلمي البرتغالية مادمت لن أبقى هنا إلا أسابيع قليلة »

وهزت كتفيها وأضافت :«مجرد مصادفة أنني أعرف بعض الألمانية من قبل»

وتدخل كارل ليغير موضوع الحديث كما لو أحس بالعداوة التي بين الاثنين ، وقال : « كنا نحاول أن نحدد القارب الفائز أي واحد تختار ؟ »

ونظر فاليب الى طابور القوارب وأشار ناحية احدها وصاحت كارول تلقائيا بابتهاج ناسية أن الماركيز دي ألفيروريالتا كان بجانبها .

« إنه أيضا اختياري ! »

والتفت كارل ناحيتها قائلا : «سأحصل على المشارط ! »

أجابت وكأنها ترد الهجوم ، وقد عادت اشراقة المرح الى وجهها :

« لن تحصل عليها ! »

ورفع فاليب أحد حاجبيه الداكنين في دهشة كما لو لم يكن قد رآها من قبل على مثل هذه الحالة ولأول مرة ابتسم كأنما مرحها سرى اليه وقال :

« يبدو يا كارل أنك يجب أن تعترف بالهزيمة فأنت تعارض غريزة جنس ينتمي أصلا الى البحر »

« يبدو ذلك بالفعل ، مادمت أنت أيضا اخترت هذا القارب »

وساد صمت متوتر ، صمت غير مريح بالنسبة الى كارول اذ كان من الحقائق المعروفة أن البرتغاليين أيضا ينتمي أصلهم الى البحر ، وبدت هذه الحقيقة رابطة تجمعها بفاليب وقد كانت متأكدة أنه أمر لايهتم به .

واختلست نظرة نحوه بعد لحظة ، وفوجئت ببريق ماكر في عينيه ينم عن أن الفكرة نفسها ساورته لكن بطريقة مختلفة وسمعته يهمس في نعومة : « يبدو أنك ضد إرادتك مرتبطة بالبرتغال ولكن لاتقلقي فالرابطة كانت في الماضي »

ونزلت قوارب وسط ضجيج منفعل هائل، بدا كأنما الجميع يصرخون فى آن واحد للتشجيع أو لمجرد التأثر بحمى الاحتفال. وأخذ الصيادون الذين لفحتهم الشمس يحاولون شق الطريق لقواربهم، وقد وضعوا فوق رؤوسهم الأغطية الصوفية، وفى الوقت نفسه يحاولون السيطرة على مجموعة أطفال يسبحون نحو القوارب أخيرا، واتجهت نحو العوامة التى كانت ترى غير واضحة عن بعد. وبدا القارب الذى اختارته كارول مطابقا لأسمه البرتغالى (اى انه

يعرج) خلف القوارب الأخرى، ونظرت اليه فى قلق، أما القارب الذى اختاره كارل، فكان فى المقدمة. وقال كارل ساخرا: « ماقيمة الغريزة الآن؟»

وأجاب فاليب رغم أن السؤال كان موجها الى كارول :

« انتظر وانظر باصديقى، مازال هناك وقت، نحن ابناء الأصل البحرى نستطيع أن نختار سفننا.»

وكان وهو يتكلم يرنو ناحية كارول بابتسامة خالية من التهكم، الأمر الذى جعلها ترد له ابتسامته برضى وارتياح. وكان منظرا جذابا يراقبونه؛ زرقة المياه المتلألئة بقمم أمواجها البيضاء، والسماء اللامعة بشمسها الذهبية العظيمة، وقوارب الصيد تتقدم الى الأمام تلاحقها صيحات التشجيع من الشاطىء، حتى فى الخيمة، نهض البعض من صفوة المحافظين ليروا الفائز، الذى كان سيتلقى التذكار التقليدى المنصوع على هيئة سمكة فضية كبيرة مسترخية فوق موجة، بالاضافة الى مبلغ من النقود. وكانت كل الجوائز مقدمة من فاليب. طافت هذه الفكرة بذهن كارول وهى واقفة هناك، لكنها هذه المرة لم تكن مصطبغة بالازدراء. بل بدأت تفهم المكانة التى يحتلها فى الجزيرة، والمسؤولية الضخمة الملقاة على عاتقه. وعادت ببصرها الى بحر، وغمرها الفرحة اذ رأت القارب الذى اختارته يتقدم الموكب، وانطلقت تصفق بفرحة صبيانية قائلة: « انه سيفوز ! »

« بالطبع .»

وفى اللحظة التى كان فيها القارب الفائز يقترب من الشاطىء، شق صبى طريقه وسط الزحام، وتحدث مع كارل ببرتغالية مضطربة، وأصغى كارل بحاجبين مرفوعتين قليلا، ثم استدار ناحية كارول قائلا:

« هذا شىء كنت أتوقع حدوثه، يجب أن أعود الى المستشفى، أخشى أن أكون مضطرا لتركك تحت رعاية فاليب.»

وقال فاليب: « يسرنى ذلك . »

وأحست كارول أنه لم يكن صادقا فى قوله، وتبادلت مع كارل التحية بالألمانية فى مرح، محاولة ألا تعكر معنوياتها بوجود شخصية الماركيز الاستبدادية. لكن ما كاد كارل يذهب بعد كلمات قليلة سريعة بالبرتغالية مع فاليب، حتى اكتشفت أن الاطمئنان الذى عرفته برفقة كارل ما لبث أن تلاشى بمجرد أن التفتت لتواجه فاليب وقال:« تشعرين دون شك بخيبة أمل

لأن الطبيب الطيب استدعى لكنني سأعيدك الى رفاقك بعد وقت قصير.»

كانت كلماته - كما توهمت كارول - تعني أنه لا يبغى البقاء معها طويلا. ووجدت أن المشاعر الغريبة التي استبدت بها منذ لحظات تبخرت، وتركت مكانها مجرد الرغبة في العودة الى نيستا وبقية المدعوين. واذ أحست بالضيق، أتجهت نحو نيستا التى تأملتها وهى تتخذ مقعدا بجانبها، وسألتها:

« هل تستمتعين بالمناسبة؟»

« للغاية، وان كان كارل المسكين استدعى الى المستشفى.»

« وبقيت مع فاليب! لهذا عدت وقد بدا عليك الاحباط.»

وهزت كارول كتفيها وقالت:« ليس الاحباط تماما، لكنني لاأشعر أبدا بأنني على سجيتي معه، مثلما أشعر مع كارل.»

وقطعت حديثه حينما بدا أن أنشطة أخرى كات على وشك أن تمارس على الشاطىء، ولفترة تتابعت مباريات متنوعة، وأعطيت جوائز لأصحاب المحاصيل الزراعية الممتازة، وبع ذلك عرض لركوب الخيل، ولكن كارول كانت طول الوقت منتبهة تماما لوجود الرجل الجذاب الأسود الشعر الذى كان يجلس بجانب سيليستينا، ويميل برأسه ناحيتها ليتبادل معها الحديث بصوت رقيق. وبعد عرض الخيول، أقبلت ماريتا نحوها برفقة مانويل، كانت تبدو فى ذلك اليوم فاتنة فى ثوب أبيض ناصع، وكان واضحا تماما أن مانويل تنبه الى فتنتها ومالت ماريتا نحو كارول، وقالت:« سنذهب الى قرعة الأزهار، هل ترافقيننا؟»

ووقفت كارول قائلة: « أحب ذلك.»

واستدارت السنيورا أكواراس بعينيها الحادتين عندما أقبلت ابنتها ناحيتها، رغم أنه كان واضحا أن مانويل يحظى بكامل الرضى، لكنها لم تكن موافقة على ما يبدو، عن تجاوز التقاليد حتى فى مناسبة العيد. وقالت ماريتا:

« سنذهب لنفرج السيدة كارول على قرعة الأزهار.»

وأومأت السنيورا أكواراس بالموافقة، وابتسمت لكارول، معتبرة إياها مرافقة كافية لابنتها. واستغرق منهم الوصول الى خيمة الأزهار بعض الوقت، ولم تكن المسافة طويلة، لكن ماريتا ومانويل توقفا أكثر من مرة لتحية المعارف، واتقديم كارول اليهم، حتى امتلأ رأسها الى حد الارتباك بمجموعة أخرى من الأسماء البرتغالية. ورغم أن الوقت كان لايزال عصرا، تكونت مجموعة أو مجموعتان، ترقص على أنغام الغيتار والكمان، ووقفت كارول تتفرج بينما

مانويل وماريتا يشرحان لها معنى بعض الرقصات. وقالت ماريتا:

« يجب أن تأتى الى حفل الرقص الليلة، ستضاء المصابيح، وستجدين أشياء كثيرة تسرك، ستكون هناك أيضا مسابقة بين الراقصين.»

ووصلوا الى خيمة الأزهار الواسعة المربعة القائمة على اوتار خشبية منصوبة على مسافات تبعد حوالى ستة أقدام بعضها عن بعض، تحمل السقف، وكل وتد منها يرفرف فوق قمته بيرق، ويلتف بالأزهار بكثافة حتى ليصعب الاعتقاد أن هذه الأوتاد مصنوعة من خشب. ودلفوا الى الداخل حيث كانت رائحة الأزهار تعبق الجو الى حد الاختناق تقريبا. كانت هناك كتل أزهار فى كل مكان، علاوة على سلال واسعة مغطاة، وفى غطائها فتحة تسمح لليد بأن تدخل لتختار زهرة. وحول الجدران رفوف محملة بمختلف أنواع الأشياء غير المتناسقة، كأنها أسواق اللهو في انكلترا. ثم رأت عبر الخيمة رأس فاليب الداكن يتكلم الى سنيورا متوسطة العمر كانت تشرف على الخيمة. وكانت تتمنى لو أنه كان فى زى مكان آخر غير ذلك. ولم تكن هناك فرصة للفرار. وال عذر مقبولا يمكن أن تقدمه لماريتا، الا الحقيقة، وهى أنها لم تكن تريد أن تسحب زهرتها أمام فاليب. وشقت ماريتا طريقها الى احدى السلال الكبيرة المغطاة التى كانت تقف قربها شابة فى ملابس العيد، بانتظار أن تناول الهدية المتفقة مع الزهرة المنتقاة. ولم يكن مانويل وماريتا قد رأيا فاليب بعد، وقالت ماريتا لكارول: « هل ستسحبين أولا؟»

ولكن كارول هزت رأسها قائلة:

« أفضل أن أراقبك لأرى ما يجب أن أفعله بالضبط.»

واتجهت ماريتا الى السلة، وأولتها ظهرها، ومدت يدها اليسرى خلفها، وعاونته الفتاة المنتظرة فى التوجيه يدها الى الفتحة الموجودة فى الغطاء، وحينئذ خرجت يد ماريتا بزهرة ذهبية ضخمة، وتجهم وجهها الحلو، ورشقت مانويل بنظرة مشتعلة، وقالت:

«هذا شيء للغاية، كنت أتمنى الوردة الحمراء، ولكن...»

وهزت كتفيها فى استسلام، لكنها لم تلبث أن بدت مبتهجة بالوشاح المطرز الذى قدم اليها، وان كانت تملك مثله الكثير، واستدارت ناحية كارول وقالت بمرح :« الآن حان دورك، يجب أن تأخذى أول زهرة تلمسها أصابعك.»

وقبل أن تستطيع كارول الاستجابة، سمع نداء بالبرتغالية، واستدارت ماريتا

باجابة سريعة باللغة نفسها. وكان كل الأعضاء الشباب فى مجموعة أكواراس قد وصلوا، يتقدمهم ريناتو وأخته، وقال ريناتو وهو يتأمل كارل بعينين مبتسمتين:

« يبدو أننا وصلنا فى الوقت المناسب لمشاهدة الآنسة كارول تختار الزهرة.»

وبنظرة مختلسة لمعرفة ما اذا كان فاليب مازال موجودا، اكتشفت كارول اختفاءه، وتقدمت من السلة أكثر ثقة، وأحست أنها قادرة على التماسك أمام هؤلاء الشبان البرتغاليين المرحين، أيا كانت الزهرة التى تسحبها. وأمسكت يدها من الخلف لارشادها الى الفتحة الموجودة فى السلة، وعندما لامست أصابعها ساقا سميكة صلبة، تذكرت ارشادات ماريتا بأن تأخذ أول زهرة تلمسها، وسحبت يده، لتسمع تنهيدة منبعثة من الفتاة الواقفة بجوار السلة.

« الوردة الحمراء! »

ورغم أن النطق كان بالبرتغالية، كانت الكلمتان مفهومتين، وازداد احساسها بالرعب، عندما ارتفع صوت آخر خلفها قائلا:« لاتخافى ياسنيوريتا، العالم لم يأت الى النهاية بعد.»

واستدارت ببطء شديد، لترى فاليب يراقبها بابتسامة سرور خبيث، ثم نظر الى الوردة الحمراء الكبيرة التى أمسكتها بين أصابعها، وأضاف قائلا بلهجة ميزت فيها رنة السرور الساخر:« يبدو أن لقدر لم يستجب لدعواتك!»

وقالت كارول محاولة أن تبدو متماسكة:« هذا مايبدو حقا!»

وتدخلت ماريتا قائلة:« انكما تتكلمان بالألغاز، كيف يمكن ألا يكون القد استجاب؟ وأنت تفوزين بالوردة الحمراء.»

قال فاليب:« ألا تذكرين أيتها الصغيرة أن السنيوريتا انكليزية؟»

وضحكت ماريتا قائلة:

« ولكن حتى الانكليز يمارسون التقبيل. ألا يفعلون ذلك ياآنسة كارول؟»

أجابت كارول وهى تتمنى أن يخلصها ردها من الموقف:« ليس علانية.»

قال مانويل:« كذلك البرتغاليون، ولكن هذه الوردة الحمراء جزء من الاحتفال.»

ووقفت الفتاة المكلفة بالسلة حائرة، تنقل بصرها بينهم، ثم قالت فى النهاية كلاما لكارول بالبرتغالية، واتسعت ابتسامة ماريتا وهى تترجم قائلة:« قبلة ياسنيوريتا. يوجد كثيرون هنا سيعتبرونها شرفا، هيه ياريناتو؟»

وانحنى ريناتو الشديد الجاذبية، وقال شيئا بالبرتغالية، لم يترك شكا لدى كارول فيما يكون مغزاه، ولم يكن لديها على الاطلاق ذلك ضده، لكنها لم تكن تريد أن تقبل أحدا، وأن تفعل ذلك علانية، كان هذا يختلف مع كل مبدأ نشأت عليه، ويعارض طبيعتها المحتشمة. وهت رأسه بحزم .. وقالت:« اننى اسفة، إنى لاأحمل شيئا ضد أحد، لكننى فقط لا أستطيع أن أقبل أحدا علانية.»

ورمت بالوردة فى اتجاه السلة، آملة أن تنهى بذلك الأمر، لكن فاليب مد يده والتقطها، وبانحناءة هازئة قدمها اليها، وقال:« أين هى الشجاعة الانكليزية التى نسمع عنها كثيرا؟»

وكانت الكلمات التى نطقها بنعومة فائقة، بلكنه الجذابة ذات الرنين الساحر الخفى، هى التى أشعلت نار الغضب فى أعماقها، حتى أنها لم تعد تعرف ما تريد، ولا ما تنوى أن تفعله. وبحركةخاطفة، استدارت، وخطفت الوردة في غضب، واشتعل الغضب فى عينيها، اذا.. قد حاول أن يذلها! وبحركة أشبه بما لو كانت ستضربه، رفعت وجهها عازمة على أن تقبله بسرعة على وجنته الداكنة لقريبة منها، وأن تتراجع بالسرعة نفسها. وربما يكون ماتبع ذلك سبه الدهشة البالغة التى برقت فى عينيه فى البداية. وألقت كارول برأسها الى الوراء فى حد، متنبهة الى أن وجهها كان مشتعلا، وأيضا الى نظرة الدهشة فى عينى فاليب - التى كانت بالتأكيد مسؤولة عن حركة رأسه المفاجئة - انسحبت لتحل مكانها نظرة الغبطة الماكرة، وتبينت أيضا، حينما حاولت أن تتحرك الى الخلف بعيدا عنه، أن يديه النحيلتين كانتا قابضتين بقوتهما القاسية على جانبى خصرها. وقال وقد تسلل الابتهاج من عينيه الى نبرات صوته: « لقد شرفتنى ياسنيوريتا!»

وسقطت يداه من فوق خصرها، وتراجعت هى الى الخلف بسرعة، مواجهة الآخرين بابتسامة تمنت ألا تظهر متكلفة كما كانت تحس بها، وقالت بمرح اعتبرته أفضل طريقة لتغطية ارتباكها:« هل الجميع راضون؟»

ولكن فيما بعد، حنما هدأت ثائرتها، واستطاعت أن تفكر فى الأمر كله بموضوعية، تبينت بدهشة، وبشيء من السخط، أن الأمر لم يكن كريها. وابتعدت، واتجهت الى الطرف الآخر من المجموعة، وكان من السهل عليها بعد ذلك أن تنسحب تماما، وكان آخر شيء رأته وهى تهرب من خيمة

الأزهار، سيليستينا تهمس بشيء الى فاليب وهى تبتسم فى وجهه، بينما يميل هو برأسه نحوها مصغيا فى اهتمام، كان من الواضح أنه نسى تماما وجود من تدعى كارول، وبدون وعى، رغم غضبها، تنهدت كارول ولكنها لم تحاول أن تتساءل لماذا. وعندما وصلت الى الخيمة الأخرى حيث تركت نيستا، كان من المؤكد أن أعلام الغضب والتمرد مازالت ترفرف فى عينيها، لأن نيستا استدارت بسرعة نحوها، وقالت مبتسمة ابتسامة مازحة: « حدث خلاف جديد فى الرأى بينك وبين فاليب.. كما يبدو من بوادر العاصفة..»

« أسوأ من ذلك !»

وفجأة سيطرت روح الدعابة على كارول حينما استعادت فى مخيلتها ما حدث ... وقهقهت ضاحكة، ثم قالت: « لقد التقطت الوردة الحمراء!»

« أستطيع أن أخمن الباقى!»

وقهقهت مبتهجة واستطردت تقول: « رفضت أن تقبلى أحدا، واستعمل فاليب طريقته الخاصة بالاغاظة اللطيفة. وأدرت ظهرك للجميع، صحيح؟»

« إغاظة لطيفة، انه، إنه شيطان يا آنسة بروتون، استفزنى عمدا، فلقى عقابه.»

« حسنا، ماذا فعلت له؟»

ولمدة لحظة اكتسى وجه الفتاة بما كانت نيستا تسميه نظرة مورغانا - او فاى، ثم انفجرت من جديد ضاحكة، وقالت « لقد قبلته!»

« أنت قبلته، هو! اهنئك، ولكن إياك أن تزعمى أنك لم تجدى ذلك ممتعا، حتى لو كنت حانقة.»

وانفرجت شفتا كارول فى اعتراض حار، لكنها أحست برجفة تسرى فى كيانها، وأغلقت فمها على الكلمات المتمردة التى كانت ستنطلق. وتناولوا العشاء فى مطعم ديسكانى، وكانت المصابيح الملونة مضاءة هذه المرة، وظلت الموسيقى تنساب فى نعومة وسط الحدائق، مصحوبة بغناء شاب أسمر نحيل مخملى الصوت، كان يتجول بين الموائد بأغانيه البرتغالية العاطفية. ودفع ذلك الصوت الساحر المنساب بعض الشبان والشبات الى تبادل النظرات المبهمة، وحتى كارول وجدت نفسها تبتسم، الى أن التقت مصادفة بنظرة فاليب المبتهجة الساخرة، وأحست أنه يهزأ بها لأنها تأثرت بالأجواء العاطفية. وبعد ذلك، شاهدوا استعراضات برتغالية راقصة، ثم نهض المدعوون أنفسهم يرقصون على نغمات الموسيقى، ومالت كارول قليلا ناحية نيستا، وهمست: « ماذا أفعل

اذا طلبنى أحد للرقص؟ لاأستطيع أن أقوم بهذه الرقصات البرتغالية.»

« اذا طلبك أحد، فلا بد أن كون قد وضع ذلك فى اعتباره، ولذلك لاترفضى.»

ولذلك حينما طلب منها ريناتو الرقص، أخذت بنصيحة نيستا ولم ترفض. كانت تلك رقصة أشبه برقصة الفالس سريعة الايقاع، وبسرعة استطاعت أن تتحكم فى خطواتها، وبدأت تستمتع بها. وكان الرقص دائما رياضيتها المفضلة لكن ولسوء الحظ لم يكن فاليب يحبه كثيرا. وأعادها ريناتو الى مقعدها متوردة ضاحكة، وفى الحال تقريبا، طلبها آخر وعادت لتدور فى حلبة الرقص. ولم تكن قادرة على مقاومة الرغبة فى النظر بين الحين والآخر الى حيث كانت برتغالية جميلة ذات شعر أسود تبتسم لرجل كان يملك جاذبية غامضة.وعادت مرة أخرى الى المائدة، وحينئذ أحست بدون أن تلتفت أن فاليب خلف مقعدها. وانتصبت واقفة فى شىء من التردد، من غير أن تجرؤ على النظر اليه وهو يسحبها لأن ذلك جعلها تتذكر بوضوح ما حدث فى خيمة الأزهار. وكان يجيد الرقص لكن كارول أحست بشىء من التحفظ، كان من الواضح، حتى وهو يرقص، أنه مازال الماركيز دى ألفيرو ريالتا، وجمد ذلك حركاتها، حتى أنها لم تستطع أن تتمتع بالرقص، وجربت أن تستغرق فى الايقاع وأن تنسى الشىء الذى استبد فجأة بتفكيرها يهمس لها محذرا، «لم يتبق الا وقت قصير للغاية، استمتعى بأيامك المعدودة.» ورغم ذلك، كانت تعلم عندما أعادها فاليب الى المائدة مع كلمات شكر مناسبة، أنها لم تتمتع بالرقص، بل تلاشى سحر ذلك اليوم، وأحست بالتعب وبالوحدة. حتى ابتسامة نيستا المرحبة لم تستطع أن تخفف من ثقل الحمل والآمه.

وتهالكت على مقعدها تتنهد، ولم تلتفت عندما سمعت صوتا أجنبى اللهجة خلفها يقول برقة، وبعبارة تجمع بين النكليزية والألمانية: « مشاغل كثيرة ياغاليتى؟»

واستدار ليواجهها، ورفعت كارول وجهها نحو عينى كارل الزرقاوين. ولم تسأله كيف عاد، كان يكفيها أنه أمامها، وقالت متوسلة وفى صوتها اختلاجة ألم: « ارقص معى ياكارل، دعنى أنسى.»

ولم يسألها ما كانت تريد أن تنساه، ربما كان هو أيضا يعرف أن هناك أشياء تفترس الذهن، ولايمكن التحدث عنها، وأمسك بيدها دون أن ينطق

بكلمة، وأنهضها على قدميها ولكن كان فى عينيه الفهم والحنان.

ولم تكن الموسيقى قد بدأت، وللحظة تساءلت لماذا اتجه ناحية الفرقة وما الذى طلبه بالبرتغالية، ثم أومأ قائد الفرقة الموسيقية مبتسما، وبدلا من الموسيقى البرتغالية الصاخبة، بأنغامها المتلاحقة، تراقصت فى الأجواء أنغام فالس مدينة فيينا. وهمس كارل: « ارقصى يا عزيزتى ... ارقصى وانسى.»

« لم تسألنى ما الذى أريد أن أنساه!»

« ربما تخبريننى في يوم ما، وحتى ذلك الحين، لن أسأل، اننى أفهم كيف يمكن أن تكون مثل هذه الأشياء.»

« شكرا لك ياكارل !»

وكانت فى صوتها نبرة شكر، وهز رأسه بابتسامة شاحبة، لم تلبث أن أشرقت مع الأنغام المرحة، وقال من جديد:« ارقصى ، ارقصى وانسى، من يمكن أن يكون حزينا عندما تكون هناك موسيقى من فيينا؟»

وباندفاع مجنون .. أطاعته كارول، انثنت، وتلوت، على الايقاع الساحر من عصر آخر، حتى لم تعد فى ذهنها أية فكرة، ولم تكن تدرى أن الناس توقفوا ليتفرجوا على الرجل الأشقر الطويل، وزميلته الرشيقة، الذين كانا يرقصان كأنما روح فيينا القديمة وقد انبعث فيها الحياة فى حديقة جزيرة برتغالية.

٧ – الوجه ولقناع

عادت لورنزيتو بعد المهرجان الى حالتها العادية واحست كارول بالخجل مما أصابها وفتح طريقا للأفكار السوداء في ذهنها ، فذكرت نفسها من جديد بما صممت عليه لئلا تقضي الوقت المتبقي لها في الأسى . وكانت نيستا تجلس على أريكة في غرفة الجلوس بينما كانت كارول تجلس بجانبها تتناوب القراءة ومحاولة كف أفكارها عن التحويم كثيرا حول فاليب ، ثم سمعت صوت سيارة ونهضت واقفة وحينما رأت من خلال النافذة الرجل القادم والشمس تلمع فوق شعره الأسود الكثيف أحست في أعماقها بلهفة شوق غريبة . وحياهما بالبرتغالية عندما قادته تيريز اليهما وسألته نيستا :

« هل ستشرب الشيكولاته معنا ؟ »

شكرها لكنه اعتذر موضحا أن عليه العودة الى القصر لارتباطه بموعد غداء . ثم نقل بصره بينهما وسأل نيستا :

« هل أنت مرتبطة بموعد بعد ثلاثة أيام ؟ »

وهزت نيستا رأسها نافية وتحولت نظرة فاليب الى كارول وسأل :

« وأنت يا آنسة كارول هل أنت مرتبطة بموعد في ذلك اليوم ؟ »

وتساءلت كارول عما يقصد ، لكنها مع ذلك هزت رأسها بالنفي وعاد ينظر الى نيستا قائلا :

« هذا حسن للغاية ، كنت قد عرضت على الآنسة كارول أن أقوم معها بجولة داخل الجزيرة وأمل أن تستطيعي أنت أيضا مصاحبتنا »

وتذكرت كارول بعد فوات الآوان وتمنت لو أنها قطعت لسانها المتهور لإعطائه مثل هذه الفرصة . لو أنها تبينت في الوقت المناسب الهدف من زيارته لكانت في الغالب فكرت بعذر ، رغم حرمان نيستا من تسلية كانت في أشد الحاجة اليها . وإزاء هذا الخاطر سرت لأنه لم يكن لديها وقت للإعتذار ولم يبق طويلا ، ولم تحدث إشارة بكلمة أو تعبير الى ما وقع في خيمة الأزهار

ورافقته نافرة حتى الباب تاركة نيستا مستريحة فوق الأريكة ونظر اليها عندما خرجا الى حيث أشعة الشمس اللامعة وتجمدت كارول في أعماقها عندما قابلت النظرة الفاحصة الحيادية في عينيه وهو يقول :

« هل تتعبك شدة الحرارة ؟ »

« لاأبدا بل إنني أحبها وأعتقد أني سأتمتع بالمناخ الاستوائي »

« ربما يحدث ذلك رغم مظهري الانكليزي للغاية »

« لاأستطيع أن أقاوم مظهري الانكليزي »

وأنبتها طبيعتها المهذبة على هذه الكلمات . كانت فظة ولكن كالعادة أن شيئا ما في سلوكه يدفعها الى الاندفاع الخاطىء . ولكن حتى مع سريان الأفكار المتحررة في ذهنها ارتجفت للتعبير الذي كسا وجهه وتوقعت أن ينحني برسمية جافة ويتجه نحو سيارته ولكن بدلا من ذلك انفرجت شفتاه الموسومتان عن ابتسامة توصي بنزوة غريبة وقال :

« يبدو أن كلانا يقول دائما الشيء الذي لايقع موضع القبول لدى الآخر هذا غريب ... أليس كذلك ؟ »

ورمقته كارول بنظرة ذاهلة مستعلية دون أن تدري تماما كيف ترد على الملاحظة ، ثم أشاحت عنه بسرعة وسمعت نفسها تقول :

« إنني آسفة كنت فظة جدا »

« كنت كذلك ، لكنك ربما كنت أيضا ضحية الاستفزاز »

وارتفع رأس كارول بسرعة وقالت في تصميم :

« كنت فعلا ضحية الاستفزاز يا سنيور »

واصطبغت لهجته بالمزاح الخفيف الذي لم يحركها اذ قال :

« لن نتعارك على ذلك ، وسيسرني أيضا لو استعملت اسمي إن المرء يتعب من هذه السنيور المستمرة »

ومن جديد نظرت اليه كارول ذاهلة ثم تطلعت نحو يديها بتمعن وقالت :

« سأحاول يا سن ... يا فاليب »

وبسخرية لاذعة في صوته قال :

« أستطيع أن أقدر صعوبة ذلك ولكن بمساعدة الشجاعة الانكليزية العنيدة يمكن إنجاز المهمة »

وضحك وأحنى رأسه الداكن بخفة وقال مستعملا البرتغالية في كلمة

التوديع : « وداعا . يحسن أن أنصرف قبل أن نتعارك من جديد »

واعتلت ابتسامة مترددة شفتيها وقالت : « وداعا يا فاليب »

وهز رأسه قائلا : « كلمة وداعا الانكليزية قاطعة للغاية ألا تستطيعين استعمال اللفظ البرتغالي رغم كراهيتك اللغة ؟ »

« لست أحمل كراهية لها ، ما هو المفروض أن أقوله اذن بالبرتغالية ؟ »

ولسبب ما لم تكن تريد له في تلك اللحظة أن يستمر على اعتقاده بأنها تكره لغته ، وذكر لها الكلمة بالبرتغالية وابتسم لطريقة نطقها حينما رددتها بعده فسألته : « ما الذي قلته ؟ »

« حتى نلتقي لا تنزعجي ، لم تكن شيئا ذا علاقة خاصة بالحب »

وأحست بالدفء يتدفق الى وجنتيها وقالت بسرعة :

« لم أكن أتوقع منك شيئا من هذا القبيل يا سنيور »

« من الحكمة أن يكون الانسان مستعدا ، وتحسنين صنعا لو تعلمت البرتغالية ، قد يوجد آخرون يستغلون جهلك بلغتنا »

« أعتقد أنني في مثل هذه المواقف أستطيع أن أخمن ما يقال أيا كانت اللغة »

وقال بالبرتغالية : « حتى نلتقي يا كارول »

ثم أضاف : « حاولي ألا تفكري في عذر لعدم المجيء بعد ثلاثة أيام »

وداعبت ابتسامة شفتي كارول وردت بالبرتغالية : « حتى نلتقي يا فاليب »

وبعد تحية ساخرة بعض الشيء من يد سمراء انصرف في سبيله ولدهشتها وجدت نفسها متلهفة أن تمر الأيام الثلاثة !

وبزغ الصباح زاهيا منتعشا كان واحدا من أيام خواماسا التقليدية التي تجعل الحياة متعة في الجزيرة ، وقفزت كارول من سريرها بقلب مرح . وبعدما أخذت حماما ارتدت زيها أثناء القيام بتدليك ساق نيستا ، لكنها لم تكن تنوي البقاء ولم تكن نيستا تعرف نواياها فأعربت بنظرتها عن ضيقها بذلك وبدأت تقول : « كارول »

وردت كارول بدون أن ترفع وجهها عن عملها : « نعم »

« هل ستبقين بهذا الزي اليوم ؟ »

ورفعت كارول وجهها بسرعة بابتسامة ماكرة وقالت :

«فاليب لن يرضى عن ذلك ، أهذا هو قصدك ؟ »

« أخشى ذلك ، وبدأت أعتقد أنك تجدين متعة في مضايقته »
« ليس تماما ، رغم أنني أفعل ذلك أحيانا ، وآخر مرة التقينا فيها وصلنا الى نوع من الهدنة المهتزة »
« ماذا يعني ذلك بالضبط ؟ »
« افترقنا في حالة صداقة مسلحة مدركين أننا قد نخرق الهدنة كم جديد في آية لحظة لنعود الى حالة حرب سافرة »
وظلت نيستا صامتة لحظة طويلة ثم قالت أخيرا :
« كارول ، هل أنت متأكدة من أنك لم تقعي في حبه ؟ »
« في حب فاليب ! كلا بالطبع ، يا لها من فكرة غير معقولة »
وسكتت من جديد عابسة ثم استطردت قائلة :
« إنه ليس نمط الرجل الذي يمكن أن أختاره لأقع في حبه »
« الحب عادة لا يسمح بالاختيار »
« أعرف ، ولكن لا جدوى من ذلك في آية حال لا أعتقد أنني من الجموح بحيث أقع في حب »
« عندك من الجموح ما يجعلك تردين عليه »
« هذا مختلف . لكن لا أستطيع أبدا أن أحبه بسبب ... »
« أعرف .. بسبب حبك لفيليب لايلاند »
« أنا لا أحبه »
وظلت الكلمات الثلاثة معلقة في الهواء فترة وأغمضت نيستا عينيها وفتحتهما غير مصدقة ما سمعته ثم رددت : « لا تحبينه ! »
« قطعا لا اكتشفت ذلك حتى قبل المهرجان شيء مذهل أليس كذلك؟ »
وضحكت وهزت رأسها متعجبة وقالت : « وبعد كل هذا الوقت ! »
وتنهدت نيستا في ارتياح وقالت :
« حسنا . هذا أمر يسرني سماعه في كل الاحوال »
« وأنا أيضا ، أشعر الآن أنني حرة أكثر مما كنت لفترة طويلة ولسوف أمتع نفسي أثناء وجودي في خواماسا ، وهذا يتضمن ألا أدع العزيز فاليب يشعرني بأنني لا أزيد عن حجم رأس الدبوس »
« وقهقهت نيستا ضاحكة وقالت : « إن لك طبعامنقذا يتولى هذه المهمة والآن إذهبي لتغيري زيك بأجمل أثوابك »

وارتدت ثوبا حريريا باهت الاصفرار ووضعت في قدميها الصندل الأسود الذي ظهرت به في المهرجان وعندما كان تمشط الخصلات البرونزية المتمردة وقع بصرها على العقد ذي الحلقات الاسطوانية المسطحة فوق مائدة الزينة ، وتركت المشط جانبا وأحكمت العقد حول عنقها ولاحت ابتسامة خبيثة على شفتيها حينما تذكرت أن فاليب تحداها أن ترتديه قائلا : إنها ستخاف من الاقدام على ذلك لو علمت معنى النقوش عليه . وصاحت نيستا مبتهجة حينما وقع بصرها على ممرضتها :
« تبدين مثل قبضة شعاع من ضوء الشمس »
وضحكت كارول ودارت حول نفسها مبتهجة بسماع حفيف ثوبها الفضفاض وتطايرت حلقات شعرها اللامع المنساب وقالت بسعادة :
« أعتقد أنني سأستمتع بيومي »
« إنني مسرورة لسماع ذلك »
وتوقفت كارول عن دورانها المرح عنما سمع صوت فاليب فجأة ولم تكد تستقر حتى رأته واقفا بجانب الباب مباشرة ، كامل الأناقة كالمعتاد شعره الأسود يلمع وملامحه الداكنة تبدو مكتملة الرجولة والجاذبية . ورغم البريق الظريف فى عينيه لم يكن النوع الذي يحرك في كارول الشعور بعدم الارتياح ، والغريب أنه ذكرها بالمرة التي تحدث فيها عن تسلقه الأشجار حتى أنها أستطاعت أن تبتسم له ابتسامة طبيعية أكثر من أي وقت مضى وسار كل شيء على مايرام في ذلك الصباح ، فقد بدا كأنما هناك إشعاع ينشر الاحساس بالبهجة ، ووسط هذه الأجواء وبعد تقديم المشروبات الباردة خرجوا متجهين ناحية السيارة السوداء ، وعندما وصلوا الى الطريق المؤدي الى لورنزيتو التفت فاليب في الاتجاه المعاكس وشعرت كارول بالرضى لتعرفها على بعض أسماء الأشجار رغم قصر إقامتها في الجزيرة ، ووسط هذه الأشجار كانت تنبت الأزهار الملونة التي جعلت من الجزيرة جنة من الألوان والأضواء .
ووقفت فاليب بالسيارة عند قمة الجبل بينما تلفتت كارول حولها لترى ما سبب هذه الوقفة المفاجئة وكان كل ما فازت به هو إحساسها بأنها في مكان ما مرتفع في العالم تكسوه الأشجار حتى حافة المنحدرات العميقة ، واستدار فاليب ناحية نيستا بابتسامة سريعة مهذبة وسألها :
« هل تسمحين لنا لمدة دقيقة واحدة ؟ »

وردت نيستا في الحال : « طبعا »
وبسرعة دار فاليب حول السيارة ليفتح الباب قائلا :
« هذا جزء من خواماسا يجب ألا يمر عليه المرء مرورا عابرا »
وكانت أصابعه رشيقة حينما عاونها على الخروج من السيارة واعترتها تلك الرجفة الخفيفة لملمس رجل كانت حتى وقت قصير مضى متأكدة من كراهيتها له »
وقال وهو يقودها الى الطريق في اتجاه المنحدر :
« من الملاحظ أن البراعم تتفتح سريعا بتأثير دفء خواماسا »
« ماذا تقصد يا سنيور »
وعادت اللهجة الساخرة القديمة الى صوته وبدا واضحا أنه لم يستطع أن يقاوم هذه الرغبة اللطيفة في التهكم عليها وقال :
« الممرضة كارول الصارمة اختفت من جديد والتغير كبير يستحق الاستحسان رغم أن لها ذاكرة ضعيفة جدا »وارتفع أحد حاجبيه واستطرد مازحا : « هل هى اذن مهمة صعبة للغاية أن تستعملي اسمي ؟ »
« كلا »
« نسيت فقط . فعندما يكون الانسان معتادا على التفكير في شخص ما بطريقة معينة يستغرق منه التغيير بعض الوقت »
« إني أتساءل ، كيف تفكرين بي ؟ »
وفي الحال تبينت كارول مدى صعوبة الاجابة على السؤال بل وخطورتها وكانت تتساءل اذا كان الأفضل أن تفكر في اجابة مراوغة كافية لإرضائه ، عندما رأت إهتزاز كتفيه وضيق عينيه وعودته الى الجدية بطريقة أثارت حيرتها . أما هو فقال :
« لابأس ، ففي الغالب أن أمر لست نفسك متأكدة منه يا عزيزتي كارول »
« ثمة مناسبات لايكون هناك عدم تأكد ... أبدا »
ووضع يده على ذراعها ليوقفها عن السير . ووقفا تحت أغصان شجرة التاماريسك يتأملان تلا منحنيا ينتهي بشاطيء رملي تتكسر عنده الأمواج البيضاء وسمعته يقول :
« ألا يستحق هذا المنظر أن يكون يومك قد نظم لك بطريقة استبدادية ؟ »
وكان صوته لطيفا مهذبا ، لكنها كانت تعرف أن مجرد نظرة منها لابد أن

تكشف عن ابتسامة في عينيه وبدأت تحس بارتباك لشدة قربه منها لكنها لم تجروء على أن تتحرك مبتعدة خشية أن يلقي بأحد تعليقاته الساخرة التي يتعذر الرد عليها . وظلت صامتة فترة، تشد من عزيمتها لتسيطر على اضطراب تنفسها الذى كاد يسيطر عليها، ثم أجابت أخيرا بأن المنظر جميل بالفعل ولكن دون أن تذكر شيئا عن تسامحها لكون اليوم نظم بطريقة استبدادة. وتحرك بخفة، وأدركت كارول أنه كان يتأمل تعبيرها من نقطة أكثر قربا مما كانت تحب، وقال: « شيء ماسرك اليوم.»
وعرفت كارول أنه كان يشير بذلك الى كونها لم تنفعل بسرعة، ولكن حيث أنها اكتشفت أن جزءا كبيرا من سرورها كان يدين بالفضل لوجودها بجانبه، لم تكن تستطيع أن تخبره بالحقيقة.وأجابت:« قد أكون اليوم فى الواقع منطلقة خالية البال..»
« هل من المسموح أن أستفسر عن السبب؟»
وهمت أن ترد، ولكنه قاطعها برفع يده قائلا:« أقدم اعتذارى.. انه أمر خاص كما يفهم؟»
« خاص للغاية .»
وكانت لهجة كارول حازمة، وأدارت وجهها وقد تراقصت عيناها، اذ أحست أن المناقشة في هذه النقطة طالت بما فيه الكفاية وانعكست الشمس على حلقات العقد الأسطوانية، فجذبت نظر فاليب الذى ارتفع أحد حاجبيه الداكنين قائلا:«إذا مازلت على ارتباطك بالمجهول؟» « ربما لأننى لاأخاف المجهول.»
« وأيضا ربما لأنك تخافين المعلوم ؟»
وتأملها بنظرة خاطفة متفحصة، وبدا الانشراح واضحا فى عينيه وقالت هى متحدية:« اذا أخبرنى عما تعنيه هذه الحلقات الأسطوانية.»
واقترب منها، ومن جديد كان عليها أن تسيطر على رغبتها الملحة فى أن تخطو بعيدا عنه، وربما يكون لاحظ حركتها اللاارادية رغم ضآلتها فعمقت الابتسامة فى عينيه واصطبغت بتلك السخرية التى كانت تعرفها جيدا، وبسرعة خلعت العقد وناولته اياه – وباصبع من يده الأخرى نقر على الأسطوانة الأولى باهمال وقال:« هذه تطالب بالحب.»
وارتفعت عيناه نحوها حينما تكلم، وأحست كارول انه يتوقع منها بعض

التعليق. فقالت بعدم مبالاة:« أعتقد أن كل شخص يطلب الحب في وقت ما.»

« ولكن ليس هذا كل شيء.»

ومن جديد رمقها بتلك النظرة السريعة من عينين داكنتين كان لهما بريق الزمرد، واستطرد قائلا:« هذه تعد بالتجاوب مع الحب. والثالثة تطالب بالعاطفة التي لها دفء الشمس، وعنف رياح الخماسين.»

« وأظن الرابعة تعد بالأخذ والعطاء، انها تبدو مخلوقة عنيفة. أقصد الفتاة التي نظمت العقد.»

« ولكنها كانت تعرف كيف تحب »

وأحست من جديد في صوته تلك النغمة الخفية الرقيقة التي كانت تحفزها على التعقيب ولكنها قررت أن تتجاهل ذلك وسألت :

« ما الذي تقوله بقية الحلقات ؟ »

وبحركة شيطانية من حاجبه الداكن أظهر أنه يدرك جيدا تملصها من التحدي وقال : « أمازلت لا تخافين سماع المزيد ؟ »

وتعمدت كارول أن تلتقي بعينيه بثبات وأجابت :

« حسنا ، بقية الحلقات لن تستطيع أن تطالب بشيء أكثر إزعاجا من سواها »

« صحيح ، الخامسة تطالب بأن يدم الحب واثنتان محفور عليهما آيات دينية »

وأعاد اليها العقد وقال : « والآن وقد سمعت معنى النقوش أمازلت لديك الشجاعة لأن ترتدي العقد ؟ »

أخذت منه العقد ولفته حول عنقها قائلة : « كما سبق أن قلت من قبل يا سنيور أنا لا أعتقد في الخرافات »

« أنت لا تعتقدين في الخرافات ، ولا تملكين ذاكرة قوية ، أم أن هذا متعمد يا مورغانا لو فاي ؟ »

وأحست بغصة لسماعه يناديها بالإسم القديم الذي كان يدللها به والدها حتى أنها لم تجد كلمات ترد بها عليه أما هو فاعتبر صمتها تأكيدا لزعمه وقال : « قد تحسين أن مدة التعارف بيننا أقصر من أن تجعلنا نرفع الكلفة ونستعمل أسماءنا المجردة »

وعاد من جديد حياديا منعزلا حتى السخرية اللطيفة تلاشت وأحست هي برجفة غريبة . كيف كان لها أن تشرح له أن اخفاقها في استعمال اسمه المجرد يرجع الى خجلها فقط ، وليس الى نفورها ؟ وابتسمت لها نيستا عندما عادا الى السيارة متظاهرة بأنها لم تلاحظ التوتر الجديد الذي كان يكتنف الاثنين . وعندما اتخذت كارول مكانها السابق في مقدمة السيارة استبد بها تصميم مفاجيء على أن تخمد شعلة العداوة القديمة المتجددة وتكلمت بسرعة وهي توزع ابتسامتها المشرقة بين الاثنين وسألته وفي تقديرها أنه ما من شيء في السؤال يمكن أن يثير احتكاكا بينهما : « كيف تعلمت العربية ؟ »

« عندي فيلا ومزارع نخيل خارج الجزائر مباشرة »

ودون أن يرفع يده السمراء عن عجلة القيادة حركها باشارة خفيفة واستطرد قائلا :

« لا أذهب الى هناك إلا نادرا ولكن كان من الضروري أن أعرف العربية »

« أما كان يمكنك أن تستعين بمترجم ؟ »

« لا يمكن أن يفهم المرء الناس بواسطة مترجم »

وسألت نيستا : « أفهم من هذا أنك عرفت معنى نقوش العقد ؟ »

واستدارت كارول في مقعدها حتى استطاعت أن تواجه نيستا وقالت :

« من الواضح أنني بارتدائي العقد أنشد الحب والعاطفة والطبيعة العنيفة للغاية »

وقال فاليب وهو يرنو بنظرة جاذبية الى كارول التي رأت في عينيه السخرية اللطيفة القديمة : « ولما كانت لا تؤمن بالخرافات فهي لا تخاف من ارتدائه ، إني أتساءل هل كانت ستكون لديك الشجاعة على ارتدائه لو كنت ممن يؤمنون بالخرافات ؟ »

وساروا بالسيارة وسط تلال منخفضة وبعد منتصف اليوم بقليل وصلوا الى مشارف مزرعة في الناحية الأخرى تقريبا من الجزيرة . وهنا وقفوا في النهاية خارج فيلا صغيرة جذابة وقال فاليب شارحا :

« لنتناول طعام الغذاء هنا »

وقدمت نيستا كارول الى مضيفهما . وكان واضحا أنه أحد مديري أعمال فاليب ، وكان برتغاليا لطيفا في منتصف العمر ، وبعدما ساعدوا نيستا على الخروج من السيارة جلسوا حول مائدة طعام رسمية ، وزاد من تعقيد الأمور أن

المضيف وزوجته وابنته لم يكونوا يتكلمون الانكليزية ، كانوا غاية في المجاملة والظرف ، ولكن كارول أحست أن تصرفاتهم الرسمية الجامدة كانت ترجع الى وجود السنيور معهم وتناوله الطعام على مائدتهم . وعادوا بعد الغداء الى مواصلة طريقهم ، ووجدت كارول نفسها تدندن لاشعوريا الأغنية الشعبية البرتغالية التي التقطتها من تيريز ولم تتنبه الى ذلك إلا عندما نظر فاليب اليها وقال : « يبدو أنك تكتسبين أشياء برتغالية حتى ضد إرادتك »

« تقصد الأغنية ؟ التقطتها من تيريز »

واصطبغت ابتسامتها بالتحدي وهي تستطرد متساءلة :

« هل يضايقك ذلك ؟ »

« كلا على الاطلاق »

وظل برهة صامتا ثم سأل مغيرا دفة الحديث تماما :

« هل بدأت قراءة أساطير سميتك ؟ »

« أجل ، إني أستمتع بها كثيرا ، وفي كل مرة أقرأ شيئا عنها أتساءل لماذا اختار لي أبي اسمها ، أتمنى ألا أكون بالفعل مثلها »

« ليس في الصفات ... ولكن »

ومن جديد أحست بنظرته الجانبية الفاحصة التي كانت هذه المرة مبهمة وعاد يقول : « ولكن ربما يوجد شيء ما مشترك ومن العجيب أنه لم يعطك الاسم كاملا »

« لقد اقترب منه قدر الامكان فاسمي الثاني فاي »

« مادامت الملابس العصرية ممنوعة في يوم المهرجان الكبير فأعتقد يا فاليب أنها لابد أن ترتدي ملابس مورغانا لو فاي ألست معي في ذلك ؟ »

وما كادت نيستا تنطق بهذه الكلمات حتى تمنت لو أن لسانها قطع ، ووجهت نظرة صامتة آسفة نحو الفتاة ... فأحيانا كان الأمر الفظيع يغيب عن ذهنها فيزل لسانها ولم يخفف عنها إلا رؤية كارول تبتسم وتهز رأسها بخفة كما لو أن ذلك لا يعنيها في شيء رغم أن كارول لن تكون في الجزيرة عندما يحين موعد المهرجان . وقالت كارول مازحة :

« الملكة الساحرة ، سيكون من السهل تمثيل ذلك الدور »

وقال فاليب ليغيظها بينما نيستا تحاول ألا تفكر :

« وسيسعد خواماسا أن تستقبل ملكة انكليزية »

ولفترة استسلمت كارول لأحلام اليقظة ولتتظاهر أنها حقيقة ستكون في الجزيرة وقت حلول موعد المهرجان فلديها الثوب الأسود المخملي ، وكانت تستطيع بسهولة أن تطرز الكمين الواسعين وفتحة الصدر المربعة ، أما تصفيفة الشعر العالية مع الخمار المتطاير فكان فيها بعض الصعوبة . وفاليب ؟ كان طبعا سيبدو خلابا في الملابس البرتغالية التي ترجع الى القرون الوسطى والتي ستضفي خلفية مناسبة لسحره الملكي ولكن ما جدوى أحلام اليقظة ؟

وعادوا الى الجزء الأهل بالسكان من الجزيرة عن طريق مختلف وظهرت عملية بناء جسر حديث كبير ، بدت من خلفه عن بعد قباب أبنية لورنزيتو ووضعت أحداث ذلك اليوم التذكاري جانبا عندما أخذت كارول تتأمل باهتمام جسرا جديدا في طور الانشاء ومن خلفه مساكن لورنزيتو ذات القباب فأبطأ فاليب من سرعة السيارة وقال :

« هل هناك ما يثير اهتمامك ؟ اذا لنقف فترة »

وتذكرت كارول بعد فوات الأوان أن هذا في الغالب هو المكان الذي يعمل فيه فيليب . كانت قد أوشكت أن تنسى وجوده في المنطقة ، ولم تكن متلهفة لرؤيته خاصة تحت عيني فاليب ألفيرو الحادتين . ولكن كان الوقت متأخرا لعمل أي شيء إلا قبول الوضع الراهن بأمل أن ينتهي الأمر على خير . وتمنت في تلك اللحظة لو أنها لم تذكر أبدا اسم الرجل الذي كانت مخطوبة له في الماضي حينما تكلمت مع فاليب في ذلك اليوم في القصر ، ولكن ربما لا يكون متذكرا .

ونزلت من السيارة ببطء ورأت فيليب مقبلا نحوهم ، رأت التحية الباسمة على وجهه وقد تحولت الى دهشة . ولأن عينيها فرغتا من الحب وجدت نفسها تدرس كل شيء فيه بعين النقد واكتشفت في ملامحه تنافرا لم تكن لاحظته من قبل ، وضعفا في الفم المحاط بالخطوط الكثيرة . لقد كان مختلفا كثيرا عن الرجل الذي اعتقدت في الماضي أنها تحبه .

ونقل فاليب نظرته بينهما واتسعت عيناه فجأة وسأل :

« هل تقابلتما من قبل ؟ »

« نشأنا معا في انكلترا »

وحبست كارول أنفاسها خشية أن يضيف أنهما كانا مخطوبين في وقت ما ، ولم تدر لماذا كانت تخاف أن ينطق بالكلمات وكانت نظرتها السريعة نحوه

تنطق بشيء من الرجاء . وسواء استجاب لها أم أن الخبر غير المرغوب فيه لم يطرأ على باله حتى ينطق به ، مرت اللحظة الأخيرة وقال فاليب :

« من الغرابة اذن أن تلتقيا في خواماسا »

وأجاب فيليب مبتسما لكارول بطريقة أوحت بوضوح عن علاقة قديمة بينهما : « كانت الصلة انقطعت بيننا ثم جاءت المقابلة مفاجأة لكلينا ، مفاجأة سارة بالنسبة الي على الأقل »

وأحست كارول في ابتسامة الماركيز التي استدار بها نحوها بلمحة تهكم وقال : « هل كانت مفاجأة تامة لك ؟ »

وقبل أن تستطيع الرد انبرى فيليب قائلا : « آوه ... تقابلنا قبل اليوم »

وساور كارول انطباع غريب بأن هذه الكلمات ما كان يجب أن تقال . اذ أوحت بأن هناك سرا يتعلق بلقائهما السابق وربما كان فاليب أحس بالشيء نفسه اذ تلاشت السخرية من وجهه الداكن وحل مكانها تعبير الحياد والانعزال

وقال بدون أن تدري لماذا كان عليها أن تقدم توضيحا للموقف وان أحست برغبة ملحة في ذلك : «جاء فيليب ذات عصر زائرا فيللا فرانشيسكا »

واستدارت بنظراتها نحو نيستا وقد تنبهت فجأة الى أن السيدة المسنة بقيت خارج الحديث وقالت لها : « كنت حينذاك نائمة وامتنعت عن ايقاظك »

ونظر اليها فيليب معتذرا وقال : « طاب يومك يا آنسة بروتون ، أبدو مقصرا في حقك ولكن أخشى أن يكون ذلك بسبب دهشتي لظهور كارول فجأة »

ولم تكن ابتسامة نيستا ودودا كالعادة ذلك أنها لم تكن تحب فيليب لايلاند ، وان كان الأدب يفرض عليها أن تتظاهر بذلك . وعاد فيليب يقول بابتسامته الساحرة التي لاحظت كارول للمرة الأولى مدى تكلفها :

« أفهم من ذلك أنك غفرت لي ؟ »

وقالت نيستا متظاهرة بالتردد : « سأفكر في ذلك »

واستدار فيليب نحو كارول وسأل مستفسرا :

« هل التقيت بطبيبنا السويسري ؟ »

« إنه يتردد علينا ليراقب حالة ساق الآنسة بروتون وصحتها عموما »

وقالت نيستا ببريق مفاجيء في عينيها :

« أعتقد أنني بدأت أكون عذرا بل مبررا طبيا »

وأحست كارول بتدفق الدفء الى وجنتيها بينما رفع فاليب حاجبه وقال :

« هكذا؟ من أيضا يستغل هذا العذر ؟ أعتقد أنك بذلك تظلمين نفسك »

وقالت نيستا ببريق فرح في عينيها لمجاملته اللطيفه :

« شكرا لك يا فاليب لكنني أعتقد أنك في هذه الحالة تظلم كارول »

وانحنت الرأس الداكنة في اتجاه كارول بتسليم ساخر . وانبرى صوت الماركيز قائلا : « اعتذراتي يا كارول »

وقررت كارول أن حان الوقت لأن يخلو الحديث من الأمور الشخصية وأخذت تتساءل كيف تستطيع أن تغير دفته ، حينما تولى فيليب المهمة نيابة عنها . واستفسر بغير اهتمام كبير عن مدى تقدم حالة ساق نيستا ، ثم انتقل الى أمور أخرى تافهة . وبعد فترة لاحظت أنه كان يناور ليختلي بها . ولكنها بمهارة أفسدت عليه محاولاته . وبدا فيليب مصمما على ألا يدعها تهرب وقد صار واضحا أنه متنبه لتهربها وبدأت هي تضيق بالحاحه المستتر . وأخيرا قال وعيناه مصوبتان نحوها متجاهلا الاثنين الآخرين :

« ألا تحبون مشاهدة مرحلة البناء الحالية ؟ »

وترددت كارول كارهة الاستسلام لمراوغته ، لكن مدركة أن اهتمامها بالجسر هو الذي دفع فاليب الى التوقف . وسمعت فاليبل من ورائها يقول بأدب بارد : « لدينا متسع من الوقت »

وألقت كارول ناحية نيستا نظرة رجاء ، اذ لم تكن تريد أن تنفرد بفيليب . لكن العون لم يكن متوقعا من هذا الجانب فالسيدة المسنة لم تكن تستطيع أن تغادر السيارة لتتجول فوق الأرض الخشنة ، بل كان واضحا من نظرة عينيها أنها فهمت الوضع . واستدار ناحية فيليب وقال :

« هناك بعض التفاصيل بالويلاند أحب أن أستفسر عنها في الموقع نفسه . واني أدرك أن هناك أمورا شخصية تريد أن تتناقش فيها مع كارول ، لكن ربما تستطيع تركها حتى لقاء آخر »

وقالت كارول بخفة مدركة بعض ما كان يخفيه فيليب من الضيق :

« أعتقد أننا تكلمنا عن الأيام الخوالي المرة السابقة بما فيه الكفاية »

وقال فيليب بنظرة تصميم في عينيه :

« وكما اقترحت يا سيدي ستكون هناك مناسبات آخرى »

واستدار بنظرته الى كارول وقال :

« الأمر الوحيد الخاص الذي كنت سأذكره كان اذا كنت ستقبلين العشاء

معي ذات ليلة في لورنزيتو . إني متأكد أن الماركيز لن يرى في ذلك شيئا خاصا للغاية دون ذكره أمام الآخرين »

وقال فاليب متباعدا عن الموضوع :

« في كل الأحوال اعملا الترتيب الذي يروق لكما »

ونظر فيليب الى كارول متسائلا ، وفكرت هي بسرعة كيف تتخلص من الموقف وقالت : « لا أعتقد يا فيليب أنني أستطيع أن أقرر الآن فكما ترى علي أن أرعى الآنسة بروتون ، ثم إنني هنا بصفتي ممرضتها ولا أستطيع أن أخرج في أي وقت وأتركها »

وسمعت فاليب يقول : « آه ، عودة الى الممرضة كارول ذات الضمير اليقظ حتى بدون الزي »

وتقدموا باتجاه الجسر الفولاذي ودهشت لسماع فاليب يتناقش فنيا مع الرجل الآخر ثم تلاشت دهشتها ، أفلم يكن ذلك متوقعا منه ؟ لقد تعلم العربية حتى يستطيع أن يتكلم مع الناس الذين يعملون في مزارع البلح التي يمتلكها ، ومن المنطلق نفسه اهتم أن يستوعب بطريقة ما معرفة متقدمة في العلوم الهندسية حتى يستطيع أن يتناقش فيها مع من يعملون في المهنة . كان رجلا مرموقا وكان لابد من وجود زوايا اخرى متعددة لشخصيته ولحياته لم تعرف بعد .وتمت رحلة العودة الى فيللا فرانشيسكا في أجواء مختلفة تماما . فلسبب ما تقاعد فاليب في قوقعة حيادية وحينما تجاسرت كارول مرة على أن تنظر الى جانب وجهه لمحت نفورا باردا وحادا وصلوا الى الفيللا قرب المساء وساعد فاليب نيستا على الدخول الى البيت واعتذر عن دعوة للعشاء معها وتوجه في الحال الى سيارته ، ولم تكتشف كارول أن عقدها قد فقد إلا عندما كان على أهبة ركوب السيارة ودون تفكير خرجت بسرعة من باب الفيللا للحاق به . وقالت لاهثة : « إنه .. إنه عقدي .. أعتقد أنه سقط في السيارة »

وارتسمت على شفتيه ابتسامة تكاد تكون ساخرة وقال : « آه .. نعم .. العقد .. شيء له مثل هذه المقدرة السحرية يجب ألا يضيع »

وفتح باب الجانب حيث كانت تجلس وانحنى ووجد العقد يلمع كما كان يتدلى من قبل في وقت بدا كأنه منذ دهر مضى . ولكنها لم تلمح التعبير الساخر المرح على وجهه هذه المرة . وأسقط العقد في يدها كما لو كان لا يحتمل أن يلمسها . وقالت كارول بصوت حاولت أن يكون مؤدبا وأن يكون

خاليا من التعبير : « شكرا يا سنيور » .

« حافظي عليه جيدا يا سنيوريتا ، فقد تكون مكافأته لك قريبة »

« ماذا تقصد ؟ »

« ربما في المرة المقبلة لا تكونين مضطرة الى قضاء يوم برفقة شخص تكرهينه ثم تواجهين الرجل الذي كنت ستتزوجينه »

ثم أضاف مستهزئا : « توقعت أنك ستستمتعين بهذا اليوم ، وأثق أن ذلك تحقق »

ورغم التعاسة الغامضة التي اجتاحتها قالت متحدية :

« شكرا يا سنيور تمتعت بهذا اليوم بكل شيء فيه »

وارتسم الاستهزاء على فمه الارستقراطي واستطرد قائلا :

« لم يكن من الضروري التظاهر ، أعرف جيدا أنك تكرهينني ، ولكن ذلك ما كان يمكن أن يكون سببا لإنهاء النزهة بدون التفرج على الجسر الجديد الجدير باهتمامك »

« لكنني لم أكن أتظاهر »

« لا داعي للمزيد من الادعاءات ، وأنا أبغض النفاق »

وعاد يتفحصها من جديد بعينيه وقال :

« إنه سابق لأوانه بعض الشيء أن أقدم التهاني على الخطبة ، كما اعتقد ولكن من المحتمل أن ما كسر في انكلترا يمكن إصلاحه هنا في خواماسا »

« اذا كنت تشير الى حقيقة أن فيليب كان الرجل الذي خطبت له في الماضي فالتهاني ليست في محلها فلا أحد منا يفكر في اصلاح ما كسر في انكلترا »

« اعتذاري يا آنسة كارول ، ولكن ربما تغيرين رأيك عندما يتم مشروع موعد العشاء »

« مشروع موعد العشاء لن يتم واذا كان في الأمر ما يمنحك أي شعور بالرضى يا سنيور فالواقع أنني لم أعد أستلطف فيليب كثيرا »

« الانسان ليس بحاجة الى الاستلطاف كي يحب ، وداعا يا آنسة كارول ، من الأفضل أن نفترق الآن قبل أن تقال في سورة الغضب كلمات لا تغتفر »

وقبل أن تتبين تحركه إتخذ مكانه أمام عجلة القيادة وانطلق بالسيارة في نعومة بينما امتلأت عيناها بالدموع فلم تر السيارة تمضي ، وعندما اختفى

استدارت وركضت نحو البيت بزفرة مكبوتة فجرت الدموع من عينيها ، واتجهت مباشرة نحو غرفتها قبل أن تراها نيستا أو تيريز وهي على تلك الحالة . وفي الحجرة الغربية جلست فوق السرير وبدأت تبكي لغير ما سبب مفهوم ، وانما فقط لأنها أحست بالرغبة في ذلك ، ثم شعرت بالخجل رغم أنها كانت لاتزال منزعجة ونهضت وخلعت الثوب الأخضر وغسلت عينيها وارتدت زيها الأبيض النظيف كأنها بذلك تضع حاجزا بينها وبين التفكير في فاليب وما حركه فيها من الأحاسيس .

وعندما نزلت أخيرا رمقتها نيستا التي كانت راقدة فوقالأريكة بنظرة حائرة وسألتها : « هل أنت بخير ؟ تبدين شاحبة »

« أنا بخير ، شكرا »

« أعتقد أنك كنت تبكين »

« دمعت عيناي بسبب التراب »

« لم تكونا دامعتين عندما وصلنا الى البيت ، ماذا حدث ؟ » هل تشاجرت من جديد مع فاليب »

« أجل .. كلا .. في أي حال .. هو لا يكنيني »

ثم قالت بانفعال لم تتمكن أن تتحكم فيه : « أنني أمقته .. لا أعتقد أنني قابلت مخلوقا كرهته أكثر منه »

« هذا ما استنتجته »

وكان صوت نيستا جافا لكن القلق كان في عينيها .. هل نجت كارول من حب فيليب لايلاند لتجد نفسها ضحية نوع من الحب أكثر خطورة سيجعلها فريسة تعاسة جديدة وهي التي لم يبق لها في الحياة إلا القليل ؟ وقالت :

« اضغطي على الجرس كارول لتحضر تيريز ، أعتقد أننا نحتاج لبعض الشاي »

وتكلفت كارول ابتسامة وهي تضغط على الجرس الفضي الصغير فوق المائدة وقالت : « الشاي دواء كل علة »

وحملت صينية صغيرة الى غرفة الجلوس وسكبت الشاي لها وانيستا في حين عادت تيريز الى المطبخ لتعد العشاء ثم لفزعها رأت من خلال النافذة سيارة سوداء كبيرة تهم بالوقوف وتصورت لحظة أنه فاليب عائد لسبب ما ، ولكن النظرة الثانية برهنت أنها مخطئة اذ رأت ماريتا أكوارس تنزل منها وتتخذ

طريقها عبر الممر . ونظرت الى نيستا قائلة : « يبدو أن زائرة مقبلة الينا »

وفي الحال ظهرت ماريتا كان واضحا أن شيئا ما يثقل كثيرا ذهنها ولو بدت متماسكة في الظاهر وقالت وهي تنقل بصرها بين الاثنين : « مساء الخير »

وجلست ماريتا في حين ذهبت كارول تطلب فنجانا آخر من تيريز مدركة أن عيني الفتاة البرتغالية تتابعان كل حركة تصدر منها . ما الذي كانت ماريتا تحمله في ذهنها ؟ كانت آخر مرة شاهدتها لاهية مرحة . وطرقت نيستا الموضوع مسألت مباشرة : « ما الخبر يا ماريتا ؟ »

كان واضحا أن ماريتا اعتادت أن تفضي بمتاعبها الى نيستا ، فقد تقلص وجهها في بؤس وتمتمت بصوت مختنق بالعبرات :

« إنني في مأزق سيء للغاية »

« ليس الأمر بكل تأكيد سيئا كما يوحي التعبير »

ووقفت كارول قائلة :

« علي أن أقوم بكي بعض ملابسي . فأرجو المعذرة لخروجي »

وفي الحال قالت ماريتا :

« لا تذهبي ، أنت وحدك تستطيعين مساعدتي يا آنسة كارول »

« كيف أستطيع مساعدتك ؟ »

« تعرفين أنني عن قريب سأخطب لمانويل ؟ »

« فهمت ذلك ، لاحظت مدى تعلق أحدكما بالآخر »

« أجل يا سنيوريتا وإنني سعيدة للغاية »

فهتفت نيستا : « اذا ما الخبر ؟ هيا يا ماريتا أفصحي عما بك ، سبق أن جئتني بمتاعبك وظهر أن حلولها سهلة »

« إنها مختلفة هذه المرة »

وعادت التعاسة الى وجه ماريتا وهمست :

« إنها بخصوص الرسائل كنت صغيرة وطائشة »

« تعنين أنك كتبت رسائل لشخص ليس مرغوبا فيه ؟ »

« كنت طائشة ومتهورة والآن يفرض علي بعض الشروط قبل أن يعيد الي هذه الرسائل »

وسألت نيستا : « من يكون هذا الشخص الكريه غير المرغوب فيه ؟ »

وارتعشت عينا ماريتا في تهيب وهي ترفعهما نحو كارول وقالت :

«لا أحب أن أقول عنه إنه كريه وغير مرغوب فيه وهوصديق لك كما هو مفهوم»

قالت كارول بهدوء وهي تنظر الى ماريتا :

« أعتقد أنها تعني فيليب لايلاند أليس كذلك ؟ »

« نعم إنه فيليب لايلاند »

وهنا اقترحت عليها نيستا : « احكي لنا القصة بأكملها منذ البداية »

« كنت طائشة ومتهورة وأيضا صغيرة جدا ، عائدة لتوي الى خواماسا بعد اجازة في البرتغال وكان فيليب لايلاند جديدا في الجزيرة واستلطفته لكن لم أكن أستطيع دائما أن أهرب من الرقابة . ولذا كنت أكتب اليه أحيانا ، ليست رسائل كثيرة ولكنني لم أكن متحفظة فيما أكتب »

وسألت نيستا « والآن أظنه يهددك بهذه الرسائل . ما الذي يريده منك ؟ »

« لا يريد مني شيئا »

وارتفع حاجبا نيستا في دهشة وأسرعت ماريتا تضيف : « إنها الآنسة كارول التي يرغب في رؤيتها »

« يريد أن يراني أنا ؟ »

وتساءلت كارول بعينين مدققتين : ما الذي يسعى اليه فيليب ؟ كيف يمكن أن تعرف رجلا لمدة سنوات ثم في فترة قصيرة لا تتجاوز بضعة أسابيع تتبين حقيقة ما كان عليه ؟ وسألت بصوت مرتفع« واذا لم أذهب لرؤيته ؟ »

« سيعطي الرسائل للسنيورا كوريستينا ، لكنك ستساعدنني ألا تفعلين ذلك يا آنسة كارول ؟ »

واجتاحت كارول لحظة تفكير لتدرك أن السنيورا كوريستينا المشار اليها كانت في الغالب والدة مانويل ، ثم تحركت يداها بحركات مضطربة وهي تقول :

«سأساعدك اذا استطعت ولكن علي أن اكتشف أولا ماذا يريد مني فيليب»

وسألت نيستا الفتاة البرتغالية « فيليب ،ما الذي أخبرك فيليب أن تفعليه؟ »

« لم يخبرني بشيء »

وفتشت ماريتا في حقيبة يدها الثمينة عن قطعة ورق وقالت :

« هذه الورقة أرسلت الي منذ وقت قصير وجئت في الحال »

وأخذت كارول الورقة وتعرفت الى خط فيليب وقرأت :

« أيتها الفتاة الصغيرة (هكذا استهلها دون استعمال أي اسم) رغم ما يبدو من أنك خضعت لرغبات أسرتك أحب أن أذكرك بأن لدي بعض الرسائل التي لابد ستكون مادة قراءة مثيرة لمانويل الفاضل ووالدته . وأنا أقترح أن تطلبي من كارول أن تأتي انتناقش بشأنها . كنا صديقين وربما أعطيها لها بشروط معينة »

وفي صمت ناولت كارول الرسالة الى نيستا التي قرائتها بشفتين مزمومتين ثم قالت ناظرة الى كارول : « حسنا ، لو لم يكن شيئا آخر قد شفاك من افتتانك بهذا الشاب الكريه فان هذا الأمر كفيل بالمهمة »

وأومأت كارول بالموافقة قائلة :

« إنني في دهشة ، كيف يمكن أن نخدع الى هذا الحد في شخص ما »

وسألتها ماريتا بعينين واسعتين « أنت أيضا وقعت في حبه في وقت ما ؟ »

« كنا سنتزوج ولكنه خدعني ولا أعتقد أنني كنت سأجيء الى الجزيرة لو علمت أنه هنا ولكن الآن يبدو أنه من الصدف الطيبة أنني جئت »

والتقت عيناها مباشرة بعيني نيستا حينما أضافت :

« لدي ما أمسكه على فيليب وهو لا يعرف عنه شيئا »

وتصلب وجه نيستا وقالت : «هل ستخبرينه حقا ؟ »

« سأفعل اذا بدأ يملي شروطه علي »

إني لا أريد أن أهبط الى مستوى السلوك الذي صار من الواضح أنه يجيده ، لكنني بدأت أعتقد أن الانسان يجب أن تكون لديه مبادىءقليلة جدا عند التعامل معه . ثم استدارت ناحية ماريتا قائلة :

« لا تقلقي يا سنيوريتا أكواراس . سأعيد اليك رسائلك »

وأضاء وجه ماريتا وقالت :

« كنت أعرف أنك لابد ستساعدينني يا آنسة كارول شعرت عندما تقابلنا أننا سنصبح صديقتين »

وفجأة سألت كارول الفتاة :« هل أرسل اليك فيليب الرسالة عصر اليوم ؟ »

وأومأت ماريتا قائلة : « أجل ، كا[illegible] مفاجأة ، لم أكن قد رأيته منذ أسابيع واعتقدت أنه نسى كل شيء وتركني في أمان ثم وصلتني الرسالة »

وهزت كارول رأسها وفجأة انبثقت لها فكرة لابد أنه كتب الرسالة توا بعدما تركوه ، حينما أصرت على عدم تحديد موعد محدد للقائهما . كانت دوافعه

لاتزال غامضة بعض الغموض ولكن كان من الواضح أنها تخصها هي أكثر مما تخص ماريتا ، وإلا كان قد أقدم على ذلك عقب ما أذيع عن قرب حدوث خطبة بين الفتاة البرتغالية ومانويل الذي كان جليا أنه يجمع بين كل ما يلقى الاستحسان من أسرة أكوارأس . وقالت لماريتا :

« هل يمكن أن أحتفظ بالرسالة ؟ »

وهزت ماريتا رأسها وناولتها إياها وقرأت كارول الرسالة للمرة الثانية ملاحظة بنوع خاص الاشارة اليها ، ربما كان يريد استغلال الرسائل في تهديدها لمقابلته ؟ ولكن لماذا يريد أن يراها ؟ بكل تأكيد لا يمكن أن يكون واقعا في حبها حقيقة ! لا يمكن أن يكون السبب شيئا أكثر من مجرد الكبرياء الجريحة ، فالشخص الوحيد الذي كان يمكن أن يحبه فيليب لايلاند حقيقة هو نفسه

وقالت ماريتا « هل أعلمه إنك ستقابلينه لمناقشة موضوع الرسائل؟ »

لكن كارول هزت رأسها قائلة : « أعتقد أن ذلك سيكون من الحكمة في شيء اذا استطعت أن تخبريني أين يسكن فأذهب لزيارته بأسرع ما أستطيع »

وأومأت ماريتا وكتبت العنوان والتوجيهات للوصول الى الفيللا التي كان فيليب يستأجرها ثم انصرفت أكثر ارتياحا وسعادة وقالت كارول بعد فترة :

« أتمنى أن ينتهي كل شيء على خير . أحببت ما رأيته في مانويل كوريستينا ، وسيكونان زوجين متلائمين »

وسألت نيستا وقد كمنت في عينيها نظرة متفحصة رغم ابتسامتها :

« متلائمان مثل فاليب وسيليستينا ؟ »

وبدأت تجمع أدوات الشاي المستعملة فوق الصينية ثم قالت فجأة :

« أعتقد إنني سوف أذهب لرؤية فيليب بعد العشاء مباشرة »

« في مثل هذا الوقت من الليل ؟ إن ذلك لا يتناسب مع تقاليد مكان مثل خواماسا كما تعلمين »

« أعرف ذلك ولكنه أنسب وقت لرؤيته فلا أريد للقائنا أن يكون علانية . سيكون في أية حال مقابلة قصيرة للغاية على الأقل أتمنى ذلك »

قادت كارول السيارة بنفسها واتجهت ناحية احدى ضواحي لورنزيتو وصعدت الطريق ببطء وبدأت تبحث بتجهم عن بيت فيليب المؤقت . كانت الفيللا سابحة في الظلام ولم يستغرق منها وقتا أن تتبين عدم وجود أحد في البيت .. وأحست بالارتياح لذلك رغم لهفتها على أن تنتهي من الأمر في

أسرع وقت ممكن . وعادت الى السيارة وأضاءت النور الداخلي وجلست تكتب ملاحظة قصيرة على صفحة منزوعة من مفكرة كانت تحملها معها دائما . وكتبت : « عزيزي فيليب : يسرني أن أقبل دعوتك اللطيفة للعشاء . من فضلك دعني أعرف متى يكون ذلك مناسبا وسأرتب الأمر مع الآنسة بروتون لأكون حرة في ذلك الموعد »

وعادت الى الفيللا ودفعت الورقة تحت الباب آملة ألا يكون لديه خدم أو على الأقل لا أحد يستطيع أن يقرأ الانكليزية ، ثم رجعت الى السيارة واستدارت في اتجاه الطريق الذي أقبلت منه . ولم تكد تقطع إلا قليلا من الطريق حتى رأت سيارة أخرى تمر بها وكانت تسير بسرعة في الاتجاه الذي جاءت منه . كان فيها فاليب وبجانبه لمحت رأسا أشقر وتساءلت عما كان يفعل خطيبها السابق في السيارة ، ثم اختفيا عن بصرها . ويبدو أن فاليب رآها كذلك الرجل الآخر في السيارة . لكن أحدا منهما لم يقل شيئا . وأوقف فاليب السيارة بحدة عندما وصلا الى الفيللا وقال فيليب لايلاند وهو يصعد السلم : « نماذج الطلبات موجودة بالداخل واذا وقعتها فسأرسلها فورا في الصباح »

وأومأ فاليب باقتضاب ودخل البيت مع الرجل الآخر ثم وقعت عيناه على قطعة من الورق فوق الأرض وقد تطايرت وانفتحت بتأثير النسمة التي دخلت عند فتح الباب ، وانحنى ليلتقطها وبسرعة تقلصت نظراته وقال باختصار :

« يبدو أن هذه لك يا لايلاند »

وناوله تاورقة التي كتبتها كارول ، أخذها فيليب وألقى عليها نظرة سريعة ثم دسها في جيبه وقال : « سأحضر النماذج »

واتجه الى غرفة أخرى يملأه الشعور بالرضى .

٨ ـ الكلمة الفاصلة

انتظرت كارول بضعة أيام قبل أن يصلها الرد من فيليب ، كانت لهفتها على ذلك اللقاء من أجل ماريتا المخلوقة الزئبقية ، فمن المحتمل جدا أن تغرق في لجة اليأس الأسود اذا لم تسترد الرسائل بسرعة . ولغير ما سبب لم تستطيع أن تحول دون مقارنته بفاليب ولم يكن ذلك في صالح فيليب في شيء . ففاليب كان يملك من الرقة والشرف الرفيع ماتصورت يوما أن فيليب يملكه وكيف يمكن أن يكون عليه حال فتاة يحبها فاليب ؟ ولكن أية فتاة تستطيع أن تقاومه اذا أراد بالفعل أن يفوز بحبها ؟

كانت جاذبيته الداكنة شديدة الخطورة واعترفت أخيرا أنها هي أيضا كانت ستجدها كذلك ، الآن اذ لم يعد الافتتان بفيليب يعمي عينيها ، لولا أنها تدرك أنه لم يعد للحب أي معنى في حياتها . وذهبت متوترة الى الشرفة الصغيرة وفكرت في أن تقرز في كتاب أساطير سميتها الممقوتة ، لكن فاليب كان هو الذي أعارها الكتاب ، وكان من المحتمل أن تفكر فيه لهذا السبب أيضا ، وبدون شك كان هو من ترمز اليه يد آسرها القاسي الذي لم يدعها تنطلق الى فيليب في حلمها القديم ، ليس بالطبع لأي سبب شخصي من جانبه ولكن لمجرد الرغبة في اظهار قوته .

ووصلت رسالة فيليب قرب المساء يطلب فيها أن تقابله في تلك الليلة . وتجهم وجه كارول حينما قرأت التهديد المستتر في كلمات الرسالة البسيطة ، وأطلعت عليها نيستا قبل أن تبدز في ارتداء ملابسها للموعد البغيض وكانت قد تلقت موافقتها بدون تردد على الخروج ... وقرأت نيستا :

« عزيزتي كارول .

شعرت أنك ستكونين متلهفة بالتأكيد على التحدث عن الأيام الماضية

باعتبار ما يكتنف هذا اللقاء ، سأمر بك الليلة حوالي الساعة السابعة »

ونظرت نيستا اليها عابسة وهي تضغط شفتيها وقالت :

« إنه شديد الثقة بنفسه ... أليس كذلك ؟ »

« أكثر من اللازم ولكنني لا أظن أنه سيسبب مزيدا من المتاعب بعد هذه الليلة »

« واستنتجت من ملاحظات ماريتا أنه لبعض الأسباب مرفوض في حياة خواماسا الاجتماعية ، وهو قطعا لا يريد أن يفقد منزلته تماما في الجزيرة ، فلما لم يوافق على ما أرغبه في أن يتركنا أنا وماريتا بدون ازعاج وأن يسلمنا الرسائل ولا ينبش بكلمة عن حماقة ماريتا ، سوف أخبره عن موتي المترقب وسأهدده بأن أدع الجميع في الجزيرة يعلمون بما حدث »

« تملكين سلاحا مريعا ولكنه فعال للغاية »

« أعترف أنه يؤلمني كثيرا اذاعة ما حدث ، لكن من ناحية أخرى فالوقت المتبقي قصير للغاية ولن أدع فيليب يتسبب في شقاء ماريتا ، يكفيه أن تسبب في شقائي »

وسكتت لتبتسم وقالت مداعبة : « أعلم أن ذلك يبدو كتمثيلية مؤثرة ، لكنني أحب ماريتا ومنذ جئت الى هنا تبينت النشأة المحافظة لبعض هؤلاء الفتيات البرتغاليات .. إن السنيورا العجوز تبدو لي متشددة جدا بصدد مثل هذه الأمور . ولست أعرف شيئا عن السنيورا كوريستينا ، لكن هذا الأمر سيؤدي غالبا الى فسخ خطبة ماريتا اذا كانت من نوع السنيورا أكواراس . إن ماريتا تتبادل حبا صادقا مع مانويل ولن أدع فيليب يحطم ذلك الحب »

« قابلت فيليب مرتين .. فهل أوحى اليك بأية فكرة عما يمكن أن يطلبه منك ؟ »

« على ما أعتقد .. التخلص من الملل ، إنه لا يحبني حقيقة رغم أنه صرح بذلك »

« حسنا ... حسنا »

واستدارت ناحية الباب متنهدة وقالت :

« أعتقد أنه من الأفضل أن أرتدي الآن ملابسي رغم أن السهرة التي تنتظرني لاتطيب لي البتة . لا أعتقد أنني احتقرت أحدا كما أحتقر فيليب في هذه اللحظة »

وسكتت وقفزت الى عينيها نظرة غريبة لم تستطع نيستا أن تقرأها وقالت :

« إنها تبدو أشبه بحالة جهنم بلا غضب »

وهزت نيستا رأسها وبابتسامة شاحبة قالت : « كلا يا عزيزتي ، أعتقد أنني أعرف بالضبط ما تشعرين به ، فعندما مرت الصدمة الأولى وأصبح التهكم على القدر استسلاما بدأت تشعرين أن كل شيء حدث لمصلحتك ولأنك ماكنت تريدين الحياة بدون فيليب .. ولذلك صار الأمر أسهل احتمالا ، فقد كان علي العقل أن يقيم دفاعا ما ثم رأيت فيليب من جديد وظننت أنه مازال يحبك وأن حبك له أصبح أكبر مما كان قبلا ، وهذا من جديد جعل الأمر أسهل احتمالا ، فبحمايته من معرفة ماتسبب في حدوثه لك كنت ترتفعين بحبك فوق مستوى الأرض . وربما ظننت لاشعوريا أنك شهيدة الى حد ما »

وسألت كارول مع بزوغ ابتسامة في عينيها : « والآن بماذا أشعر ؟ »

« بأنك خذلت . لم تعد لديك الأسباب التي جعلتك تستسلمين لما حدث لك ، فذلك الفيليب الذي اقتنعت به وكنت على استعداد لأن تموتي من أجله لم يعد له وجود ، إنك تريدين من جديد أن تعيشي »

« لقد أردت دائما أن أعيش »

« أجل ، ولكن مع استسلام لاشعوري جعل الواقع أكثر سهولة . أما الآن فانها تبدو إهانة لك أن تموتي بسبب شخص مثل فيليب الذي اكتشفت حقيقته »

« لم تكن غلطته في الحقيقة ، كيف كان له أن يعرف أنني سأتصرف على ذلك النحو المتهور بالعبور أمام سيارة مندفعة ؟ »

« صعقتك الصدمة التي تسببت في تصرفك علي ذلك النحو . [illegible] فهو مازال مسؤولا أدبيا ، ولدي رغبة عارمة في أن أراه متزلما بطريقة ما »

« ربما لا أحتاج لإخباره ، أتمنى أن أقنعه بدون اللجوء الي ذلك . إنني أكره فكرة الإبتزاز لكنه ضعيف الى حد كبير وربما يكون الأمر بالغ الشدة على ضميره »

والتوت شفتا نيستا باحتقار وقالت : « ليس فيليب لايلاند . اذا كنت تتصورين أنه قد يقدم على الانتحار فيمكنك أن تنسي ذلك في الحال . إنه ضعيف ، أجل ولكنه لن ينتحر . إنه يحب نفسه كما لم يحب امرأة أبدا وسيجد مبررا لتصرفه اذا تحرك ضميره »

ونظرت في ساعتها وقالت : « والآن أعتقد من الأفضل أن تمضي لتستعدي ، سوف يصل ذلك المخلوق الكريه في أية لحظة »

وأومأت كارول واتجهت في بطء ناحية السلم وصعدت الدرجات برأس مطرق ووجه عابس قليلا محاولة أن ترتب في ذهنها بعض الأشياء التي ستقولها لفيليب ، رغم أنها كانت غالبا ستضيع منها عندما يحين وقت النطق بها . وعندما وصلت الى الغرفة فتحت خزانة ملابسها واستعرضت الأثواب المعلقة وفكرت في صورة مورغانا لو فاي في الكتاب الذي استعارته من فاليب وارتسمت على شفتيها وهي تخرج الثوب الأسود المخملي ابتسامة تشبه تلك التي كانت للمرأة في الصورة .

ورفعت نيستا بصرها عندما سمعت وقع أقدام خفيفة تهبط السلم ببطء ، بدت أشبه بخطوات كارول .. وأيضا لاتشبه خطواتها . وأحست بشعور غريب يغمرها لم تستطع تعريفه عندما دخلت الفتاة الغرفة . كان الثوب الأسود المخملي رائع الخطوط وكان يشكل الجسم النحيل بطريقة جعلت الفتاة التي كانت ترتديه غريبة تماما . وابتسمت كارول ببطء وكانت هذه الابتسامة أيضا مختلفة عن الابتسامة المعتادة ، وقالت : « هل يعجبك ثوبي ؟ »

« تبدين مختلفة ... قاسية »

« فيليب جعلني قاسية »

« لاتتمادي كثيرا في اتخاذ شكل مخالف لطبيعتك يا كارول »

ثم اصطبغ صوتها بالتحذير الحاد وهي تقول :

« هذه الأسابيع الأخيرة الأقسى احتمالا ، الآن كل التعقل انتهى ، وكل الأوهام تلاشت ولكن إياك أن تفقدي نفسك ، احتفظي بإيمانك يا عزيزتي لاتكوني مورغانا لو فاي »

« ربما كان علي أن أتصرف بطريقة أقرب الى طريقة الاسم الذي أحمله ، حينئذ يأتي فيليب الي حتما زاحفا مثل جرو صغير لزربت عليه اذا كان مزاجي رائعا ، أو أصرفه بعيدا عند اللزوم »

وماكان لذلك أن يدوم طويلا فقد كانت كارول شديدة الصدق مع نفسها ولكن ربما كانت على صواب ، ربما كانت هذه الليلة بحاجة الى مورغانا لو فاي للتعامل مع فيليب لايلاند الذي كان على مايظهر قد وصل . وفي تلك اللحظة أحست نيستا نحوه بشيء من الآسف ، لقد كان يعرف مورغانا لو فاي

كارول فقط ، لا الشخصية التي أصبحت عليها الليلة ، جامدة وقاسية وذات جمال خرافي .

وانتقلت نظرتها اليه عندما ظهر في الغرفة ولمحت تعبير الصدمة الذي مر على وجهه عندما رأى الفتاة في الثوب الأسود المخملي ، وبصوت تمتزج فيه السخرية بالتعالي قالت كارول :

« تأخرت فيليب ، كنت تستطيع بالتأكيد أن ترتب حضورك في الموعد تماما لأهمية المناسبة ، إنني على ثقة بأنك متلهف مثلي لمناقشة الماضي »

وقال بلهجة مقتضبة كما لو كان مضطرا الى ذلك للسيطرة على شعوره بالإنزعاج : « آسف يا كارول على تأخيري ، نستطيع أن ننصرف حينما تكونين مستعدة ، حجزت مائدة في مطعم ديسكاني »

وارتفع حاجبا نيستا عند سماع الاسم وقالت :

« ديسكاني هو مطعم خواماسا الأول ! »

« ولكنها مناسبة ذات أهمية أليس كذلك يا فيليب ؟ »

ورمقها فيليب بنظرة حذرة لم تصل الى عينيها وسأل بصوت مرتفع :

« هل نذهب ؟ »

وأشارت كارول برأسها بدون أن تتكلم وكانت حركة سواء متعمدة أم لا شعورية ، تنطق بالاستعلاء والاستبداد كما لو كانت ملكة تهب معروفا .

وكان مطعم ديسكاني شأنه ليلة المهرجان ، لكن كارول في هذه الليلة بدت كأنها تراه من خلال غلالة . المصابيح المعلقة بين الأشجار أشياء من عالم آخر ، ورائحة النباتات المزهرة بين الموائد أشبه بالبخور العتيق والشاب الداكن النحيل ذو الصوت المخملي مازال يتجول بين الموائد مترنما بأغانيه العاطفية ولكن في تلك الليلة أحست كأنها حبيسة قوقعة جامدة حقا مورغانا لو فاي ، برغم رغبتها في أن تهرب لتعود مجرد مورغانا كارول البسيطة من جديد .

وبدا أن فيليب شفى من ارتباكه واخذت عيناه تتفحصانها بتقدير جديد وقال : « إنك تريدين ثوبا غير عادي »

« أجل أعتقد ذلك ، ولكنني الآن أمتلك مجموعة من الملابس الجديدة لأني أنفقت كل مدخراتي قبل أن آتي الى هنا »

« اعتدت أن تكوني دائما مقتصدة ، ماالذي دهاك اذن »

« اكتشفت إنني لم أعد بحاجة الى المدخرات ، وقصدت أن أجعل هذه

الرحلة أجازة أتذكرها طول العمر »

« أتعرفين أعتقد أنك تغيرت يا كارول »

« حقا ! كم تبدو سريع الملاحظة يا فيليب ، كان من المحتم أن أتغير فأشياء كثيرة حدثت لي كما تعرف »

« أجل أعتقد ذلك »

« حسنا يا فيليب ، أعتقد أننا تكلمنا بما فيه الكفاية دعنا ندخل مباشرة في موضوع الرسالة التي بعثت بها لماريتا هل تفعل ؟ »

« ليس بعد ، مازال الوقت مبكرا »

« ولكنه متأخر بما فيه الكفاية لما يجب أن يقال وليس في نيتي أن أطيل فترة هذا العشاء ، تعرف جيدا أنني ترددت في القبول عندما طلبت ذلك مني من قبل ، في المعسكر »

« ومع ذلك جئت ! »

« تحت التهديد ، لاتخدع نفسك يا فيليب ، لم يكن ذلك عن طيب خاطر مني والآن أخبرني عن شروطك لإعادة هذه الرسائل »

لاشيء يثير الفزع أو يستعصي على الاستجابة ، ستحصل ماريتا على خطاباتها حينما تعطيني أنت وعدا بألا تتجنبيني وأن تقبلي دعواتي . وسأعطيك خطابا في كل مرة نتعشى فيها معا »

« وماذا بعد ؟ وفي بحر ذلك الوقت يكون من المفروض أن أقع تماما تحت تأثير سحرك لأرتمي في أحضانك من جديد »

« تصوير الأمر على هذا النحو يظهره نوعا من الغرور »

« حسنا ، ألست مغرورا ؟ وهل هناك سبب آخر لإرغامي على مقابلتك ضد رردادتي ؟ إنك لاتتوقع مني أن أصدق بأنك جاد في حبك لي أليس كذلك ؟ »

« وكيف تعلمين أني لست واقعا في حبك ؟ أستطيع أن أكون كذلك الآن بمنتهى السهولة »

« لأنني تغيرت وأستطيع أن أرى حقيقتك بوضوح »

« آوه ليس »

« نعم يا فيليب كنت مجنونة بحبك والآن أجدني أنال من غرورك ، أليس كذلك ؟ »

« صفي الأمر بما يحلو لك ، هل ستوافقين على شروطي أم لا ؟ »

« لن أوافق وأعتقد أنك أنت الذي ستوافق على شروطي »

« شروطك ؟ تذكري أن رسائل ماريتا أكواراس في جوزتي »

« أجل يا فيليب أعرف ذلك جيدا ، ولكنني مازلت أعتقد أنك ستعطيني هذه الرسائل وستوافق على أي شيء آخر أقترحه »

« وأي شيء آخر سوف تقترحينه ؟ »

« ستعطيني الرسائل ولن تتفوه بكلمة لأحد عن حماقة ماريتا ولن تحاول أيضا مضايقة ماريتا أو مضايقتي مرة أخرى »

« ما الذي يرغمني على ذلك ؟ »

« لأن هناك شيئا مازلت لاتعرفه يا فيليب ومازلت أذكره أن أعرفك به ، في الماضي حميتك من معرفته لأنني أعتقدت أنني كنت أحبك »

وكان صوتها باردا للغاية حينما اتجهت عيناها نحو وجهه محذرة وقالت :

« لو كان عندك ضمير ومن أجل راحة بالك لاتسألني عن ذلك الشيء لأنني متأكدة أنك ستندم ، لاتجعلني أخبرك وكذلك بقية الجزيرة بل وافق على شروطي »

« هل تتوقعين مني جادة أن أوافق بدون أن أعلم حقيقة ماتهددينني به ؟ »

« هذه فرصة يجب أن تتمسك بها »

« حسنا ليس في نيتي أن أفعل »

« حسنا جدا ، هل تذكر الخطاب الذي أرسلته الي يا فيليب ؟ »

وأكدت إيماءته أنه يذكر فاستطردت هي قائلة :

« تستطيع أن تتصور اذن أنه صدمني عندما تلقيته ، خاصة أنه كتب بطريقة جافة حتى أنني في الورقع تصرفت بشيء من الحماقة »

« يا إلهي يا كارول ، إنك لم تحاولي الانتحار ! »

وكان رعبه مضحكا للغاية حتى أنها ضحكت ضحكة جوفاء بدون طرب ، وقالت : « لاتكن مغرورا الى هذا الحد لابد أنني لاشعوريا أدركت حتى في ذلك الحين أنك لاتستحق ذلك »

« يجدر بك ألا تكوني عنيفة في حكمك علي »

« إنها غلطتك ، أمازلت تريد مني الاسترسال ؟ »

« أعتقد ذلك »

« لو حاولت الانتحار كنت ستصير مسؤولا أدبيا لأنك خذلتني قبيل زواجنا ببضعة أيام فقط ودون أن تكون لديك الشجاعة على أن تخبرني وجها لوجه . اذا كنت قد حاولت الانتحار ، فما أظنك كنت تريد لأهل الجزيرة أن يعرفوا شيئا عن ذلك فانني أعتقد أنني بدأت أعرف البرتغاليين جيدا لأنني لاأعنيهم شخصيا في شيء ، ولكنهم متطرفون في عاطفتهم ، وتعاطفهم سيكون كله معي وأعتقد أنك على الأرجح ستصير منبوذا خلال إقامتك في الجزيرة »

« ولكنك لم تقدمي على ذلك ، وفي أية حال كان يمكنني الإنكار حتى ولو كان ذلك صدقا »

« ولكنك لا تستطيع أن تنكر حقيقة حتمية ، هل تريد أن تسمع المزيد ؟ »

وأومأ بالإيجاب واستمرت هي مدركة ومتقبلة أخيرا أنها يجب أن تخبره :

« يوم تلقيت رسالتك فوجئت وصدمت حتى صرت في حالة أشبه بالذهول فوقعت لي حادثة نزلت عن الرصيف ولم أر السيارة المقبلة »

« ولكنك في زية حال شفيت وزعتقد أنك مخطئة قليلا في حكمك على أهل الجزيرة ، إنهم لايعجبون بالجبن الذي تنطوي عليه محاولة الانتحار »

ومن جديد تحطمت القوقعة الصلبة وتلقى نظرة مشتعلة من كارول الغاضبة لأقصى حد اذ قالت :

« ربما كان ذلك جبنا ، ولكنني لاأعتقد أن الأمر كان كذلك . كنت من الذهول وقت الحادث بحيث لم أشعر بشيء حتى في التفكير بالانتحار »

« الى أي شيء تهدفين ؟ »

وأحس بشيء يحذره بألا يتمادى في حثها على الاسترسال وأن يقبل شروطها دون أن يعرف ماكانت تخفيه عنه ، لكنه من ناحية أخرى لم يكن يستطيع الاقتناع بأنه كان أمرا جادا ، وقالت كارول بوضوح :

« لم أشف من الحادث وسوف أموت بعد أقل من شهر

هكذا أعلنته بوضوح تام وحزم !

٩ ـ المعجزة

رغم أن كارول لم تكن ترى فاليب كثيرا ، لكنها وجدت أن مجرد علمها بأنه لم يكن في الجزيرة ، سلب أشعة الشمس الكثير من توهجها الذهبي ، وجعل سماء خواماسا أقل زرقة . لقد ذهب الى البرتغال في رحلة عمل قد تطول أطول مما تبقى لها . وزفرت قائلة لنفسها : ما أقصر الوقت .

فالآن وقد اقتربت اللحظة كثيرا كان عليها أن ترتب أمورها ، ووجدت من الصعوبة إتخاذ قرار بشأن مايجب فعله ، فأن تتقبل مايجب أن يحدث شيء وأن تستقر على مايجب أن تفعله شيء آخر ، ولم تستطع التوصل الى قرار قاطع حتى كان ذلك الصباح الذي فاتحتها فيه نيستا بالأمر قائلة :

« ذكرت مرة أنك تنوين حجز تذكرة عودة الى الوطن ثم تختفين ليلا فوق ظهر سفينة ، منذ ذلك الحين أتساءل ما اذا كنت تقصدين ذلك حقا »

« حتى لا يتكلف أحد مشقة الجنازة »

« ولكن كيف تتصورين شعوري تجاه ذلك ، أنا أعلم أنك تواجهين النهاية وحدك ؟ إبقي هنا يا كارول واذا كنت مازلت حريصة على ألايعرف أحد فسوف نرتب الأمر ، بالطبع يجب أن نخبر كارل ولكن ليس هناك حاجة لأن يعرف أحد غيره ، اذا كنت ترغبين في ذلك »

وراقبت وجه كارول ، لكنها لم تستطع أن تقرز عليه شيئا وعادت تقول وهي تلعب آخر ورقة : « أعتقد أنك كنت تعنين ماقلته حينذاك ، لكنني لن أدعك ترحلين وحدك ، اذا ذهبت فسأذهب معك »

ورمقتها كارول بنظرة ذاهلة وسألتها :

« لكن ماالذي يضطرك الي ذلك ؟ أنا في الحقيقة لاشيء بالنسبة اليك . أقصد لست مرتبطة بي على أي نحو »

« أعتقد يا عزيزتي أن كلا منا مرتبطة بالآخرى وأنت ستبقين هنا أ وقت ممكن أليس كذلك ؟ »

« سأبقى، لم أقم في الواقع بأية ترتيبات ، لم أكن أعرف ماذا أفعل ، كنت أفزع من الرحيل ، ولكنني لم أكن أريد أن أسبب ازعاجا لأحد »

وقالت نيستا وهي تقاوم دموعها : « لاتكوني مضحكة »

وبسرعة غيرت الموضوع وسألتها «هل استرددت رسائل ماريتا من فيليب؟ »

« في اليوم التالي مباشرة وقد حرصت على أن أعيدها اليها بدون أن يرتاب أحد في الأمر ثم تلقيت منها رسالة يتدفق منها المرح لارتفاع روحها المعنوية »

« إنها طفلة لطيفة وإنني مسرورة لأنك أنقذتها من مأزقها ، لكنك لم تخبريني عما حدث بالضبط »

وابتسمت كارول ابتسامة خفيفة وقالت

« كان رد فعله بالطريقة التي تصورناها »

وسردت النقاط الرئيسية للمناقشة التى دارت بينها وبين فيليب ، وهزت كتفيها قائلة في النهاية .

« بعد مكالمته الهاتفية عدنا توا الى البيت بدون أن نتبادل كلمة تقريبا »

وأحست نيستا كالعادة بأن كارول لم تفصح بكل شيء وسألت بهدوء :

« هناك شيء آخر ، أليس كذلك ؟ »

وساورها الشك في أن الأمر يتعلق بفاليب فما كان من فيليب لايلاند يستطيع أبدا أن يحدث هذا التغيير الملحوظ في الفتاة . وبدت كارول متحفظة قليلا وقالت : « ليس شيئا ذا أهمية خاصة ، اذ قمت لأتمشى وسط الأشجار عندما ذهب فيليب ليرد على المكالمة التليفونية »

« ووجدك فاليب هناك ؟ »

« كيف عرفت ؟ »

« من السهل معرفة متى تفكرين في فاليب . على الأقل بالنسبة الي »

« تقصدين بنظرية مورغانا لو فاي التي تعتريني ؟ »

« كلا يا عزيزتي ، إنك تحبينه أليس كذلك ؟ »

وبدا للحظة أن مورغانا ستتنكر ، ثم أومأت قائلة :

« نعم ، ودون جدوى على الاطلاق بالطبع ، ولكن ذلك قد حدث »

« ماذا حدث في تلك الليلة ؟ »

« كل منا قال أشياء فظيعة ، وذهب هو الآن الى البرتغالي كارها مجرد رؤيتي »

وبدا لنيستا كما لو كان فاليب قد تصرف عن شعور بالغيرة ، واستكانت للفكرة وإن كان من العسير تصديقها وتساءلت اذا كان الرجل الساخر الذي كان يعتقد أنه محصن ضد الهجوم ، قد وقع أخيرا ضحية ؟ سيكون أمرا فظيعا لو كان ذلك حدث لأن حياة أخرى قد تتحطم عندما يسمع ...

وكفت فجأة عن التفكير اذ أطلقت كارول زفرة ألم مباغت وأمسكت رأسها بيديها وشحب وجهها شحوب الموتى وارتسمت تقطيبة فزع بين عينيها اللتين ظهر فيها شيء من الدهشة كما لو كان الأمر قد جاءها دون تحذير . وسألت نيستا بسرعة وهي لاتجروء على التفكير في أن ذلك يمكن أن يحدث هكذا سريعا : « ماذا بك ؟ »

وكان مجرد آنين خافت هو كل رد كارول ، وهي تقاوم للسيطرة ... من قسوة الطعنة التي أحست بها في مخها ، ألم حاد عنيف كانت موجته تنحسر عن اختلاجة خافتة لتعاود من جديد مهاجمتها وتوترت في انتظار الموجة التالية وعندما عصفت بها لم تستطع هذه المرة أن تمنع نفسها من أن تصرخ .

وهرعت نيستا اليها بسرعة متحركة بسهولة بعدما تحسنت ساقها كثيرا وطوقت الفتاة بذراعيها وسألتها : « أين أقراصك ؟ » وردت كارول الكلمات وهي ترنو بعينيها نحو السيارة الكبيرة محاولة التركيز عليها لكن بصرها كان غائما . وفي مكان ما من عقلها كانت فكرة الأقراص التي أعطيت لها من مستشفى سان كريستوفر . وعلمت أنها اذا استطاعت الوصول اليها فان الآلم المفزع سيهدأ ، ولكن أين كانت ؟

وعادت نيستا تسأل : « أين هي ؟ »

وأقفلت كارول عينيها مرتعبة من شدة الألم ثم تذكرت وأصغت نيستا الى كلماتها اللاهثة وبرفق قادتها الى الأريكة ثم صعدت بسرعة الى الطابق العلوي لتحضر الأقراص . وعندما عادت نيستا كانت كارول جالسة على الأريكة ورأسها بين يديها . وتبينت نيستا عندما قربت كوبالماء من شفتي الفتاة وجعلتها تبتلع القرص أن كارول لم تعد في عيها تمام . ومددتها برفق فوق الأريكة ووقفت تتأمل باهتمام الوجه الشاب المتقلص الما ، وتترقب بلهفة سريان مفعول القرص . وبالتدريج بدأت الخطوط المتقلصة تلين وعاد بعض

اللون الى وجهها واستردت عينا كارول القدرة على التمييز واستطاعت أن ترسم ابتسامة ضعيفة على شفتيها وقالت بصوت ضعيف هامس كأنه آت من مكان سحيق : « شكرا يا آنسة بروتون آسفة على مابدر مني ولكني لم أكن أتوقع مثل هذه البداية »

وأسرعت نيستا باخفاء عبرات هددت بالانهمار من عينيها فلم يكن هذا وقت للدموع وسألت بصوت حاد : « كيف الحال الآن ؟ »

« أحسن كثيرا . كل ما أستطيع الاحساس به هو اختلاجات ثقيلة في الخلف قالوا أن ذلك قد يبدأ قبيل الاوان »

« لن تجادليني ثانية يا فتاتي ، ستذهب الى كارل بمجرد أن تشعري بالقدرة على ذلك . كان يجب علينا أن نذهب اليه من قبل . إنها غلطتي اذ تركتك تقنعينني بعدم اخباره حتى الآن »

واسلقت كارول وهي تشعر بحالة اعياء غريب وأن لم يكن في الحقيقة غريبا نظرا لما عانته ، وأحست بهدوء مريح حتى الاختلاجات لم تعد شيئا يذكر بالمقارنة بما كانت عليه الحال في البداية . كان كل شيء يبدو غير حقيقي بتأثير القرص حتى خيل اليها أنها رأت فاليب واقفا على عتبة الباب ، ماكان يمكن أن يكون هو بالطبع ، ولكنه فقط هذيان عقلها وشوق قلبها ، كان فاليب في البرتغال ولم يكن سيعود إلا بعدما ينتهي كل شيء .

وقالت لأوهامها المحمومة :

« مرحبا يا فاليب عدت بسرعة إنني مازلت هنا ولكنني لن أبقى طويلا »

وبدا ذلك لذهنها المسترخي المخدر دعبة عظيمة ، وضحكت له ، أو بالاحرى لطيفة في هذيانها غير مدركة على الاطلاق لما كانت تتفوه به وهي تتكلم مطمئنة محاولة أن تبتسم ومتعجبة للألم الذي يصاحب ذلك .

« لاتقلق ، أعرف أنك لا تستلطفني لكنك لن تكون مضطرا الى التعامل معي طويلا لأنني سأموت سريعا »

وقال الطيف الذي ظهر أمامها في هذيانها بلكنة فاليب البرتغالية الحادة الجذابة : « لا تمزحي في مثل هذا الأمر »

« أوه ، لكنني لا أمزح ، كلهم قالوا أنه لاجدوى ، كان من المفروض أن أموت في الحال لكن ذلك لم يحدث إنه نوع من تأجيل تنفيذ الحكم »

وظهر شخص آخر على عتبة الباب وقهقهت كارول بضعف قائلة :

« أوه ، مرحبا يا نيستا هل عدت ؟ إنك لست طيفا أيضا أعرف أنك حقيقة ، ولكن طيف فاليب هنا ، هل تستطيعين رؤيته ؟ »

ثم تكاثف الضباب وتراجعت أصواتهم بعيدا في الأغوار ووجدت نفسها من جديد تسبح في الكلمات الناعمة التي كانت سبحت فيها حينما وقعت الحادثة ، وابتسمت وهي تفقد الوعي كأنها عائدة الى مكان عزيز لديها حيث لاشيء يحدث ولاشيء يؤلم : أرض من الظلمات الناعمة الغامضة لايستطيع أحد أوشيء أن يصل اليها .

أم أنهم كانوا يستطيعون ؟ أحست أن شخصا يرمقها وكانت تستطيع أن تقسم أنه كان فاليب . هل يمكن الاحساس بالطيف تماما كما يمكن سماعه ؟ من الأغوار السحيقة سمعت أيضا صوت نيستا يصل بغير وضوح الى أذنيها ، كانت تخبره عن الحادثة ونتائجها ، وبين الحين والآخر عندما كانت نيستا تسكت لتلتقط أنفاسها ، كانت هي تضيف لمحات صغيرة متسائلة لماذا كان طيف فاليب مستمرا في ترديد بعض العبارات بالبرتغالية ... ولماذا كان وجهه مازال على رماديته الغريبة .وقالت بضحكة واهنة :

« إنك تبدو مضحكا للغاية يا فاليب هل أنت مريض ؟ »

واختنق صوت فاليب بشيء قاله وبعناية تنحى لنيستا حين استقرت الاثنتان على المقعد الخلفي لسيارته وبسرعة استدار وجلس أمام عجلة القيادة وأحست كارول بتحرك السيارة لكنها بدت سيارة وهمية ، في عالم الخيال السحري وبين الحين والآخر كان ألم حاد يطعنها ويرسم عبوسا بين حاجبيها .

وقالت نيستا حينما بدأت السيارة السوداء الفخمة تنطلق :

« أعتقد أن مفعول القرص بدأ يضعف أو أن الألم يزداد سوءا »

ولم يرد فاليب وكانت عيناه تحدقان في الطريق خاليين تماما من التعبير . وبدا الوقت أبديا لنيستا وهي تحتضن الفتاة الغائبة تقريبا عن الوعي بين ذراعيها خاصة حينما عاد الأنين الخافت الموجع للقلب بخرج عنوة من بين شفتي كارول . لكن أخيرا ظهرت جدران المستشفى البيضاء ووقفت السيارة وحمل فاليب كارول التي فقدت الوعي تماما ودخل بها المستشفى وقابلهم كارل ونظر الى وجه كارول الأبيض وفي كلمات سريعة خافتة أخبرته نيستا بما حدث. ومدت له يدها بلفافة سميكة وقالت :« وجدت هذه الأوراق في الدرج مع الأقراص إنها التقرير وصور الأشعة التي كان من المفروض أن تعطيها لك »

واستحثه فاليب للافصاح قائلا : « ماذا هناك ؟ »

ورفع كارل رأسه وهزه وقال بهدوء :

« إنهم على صواب ، لاتوجد فرصة على الاطلاق »

« بل يجب أن توجد »

وهزت نيستا بدورها رأسها وقالت :

« كانت تعرف طيلة الشهور الماضية أنه مامن شيء يمكن عمله »

« شيء ما يجب أن يكون ممكنا »

كان صوت فاليب جادا متوترا غير معترف بأي شيء آخر إلا الحفاظ على شعلة الحياة كما لو كان بقوة الارادة يستطيع أن يحول بينها وبين أن تخبو وبدرت عن كارل حركة يأس وقال :

« أمرت باعداد أشعة من جديد لكنني أشك في أنها ستظهر أي أمل »

وبدا الوقت أبديا من جديد بعدما مضى كارل ، لكنه هذه المرة كان أطول من المرة السابقة . وأقبل كارل أخيرا وأحسا في الحال اختلافا في تعبيره وقال

« هناك فرصة ضئيلة للغاية لكن يجب إجراء عملية في الحال . المشكلة الوحيدة أنه لايوجد هنا أحد يستطيع أن يجري العملية »

قالت نيستا في الحال : « وكماذا عنك ؟ »

وهز كارل رأسه قائلا : « لاأستطيع أن أجريها ،إنها إحدى تلك العمليات »

وأشار بحركة يأس بيديه النحيلتين الدقيقتين وقال:« نها تكاد أن تكون تجربة»

« كنت مستعدا في مرة سابقة أن تقوم بتجربة »

كانت لهجة فاليب قاسية وزادت الصدمة وجه كارل شحوبا وأصبحت الظلال القاتمة التي كانت تغطي عينيه أحيانا شيئا حقيقيا وقال :

« إياك أن تذكرني بذلك »

«كنت مستعدا في مرة سابقة أن تجري التجربة وتستطيع أن تعيدها مرة أخرى »

« لاأستطيع يا فاليب . إنه أكثر مما يتحمله أي شخص ، لايستطيع ضميري أن يتحمل وزر موتين »

ورفع يديه الجساستين النحيلتين الى عينيه واستطرد قائلا:

« قد تموت هي أيضا»

وضغطت يداه على عينيه لكنهما لم تستطيعا إسكات الصوت القاسي

القائل : « أنت لم ترتكب غلطة في المرة السابقة »

واستدار بحركة يأس وقال : « لاأستطيع يا فاليب . أعرف أنني سأخفق ولو حدث ذلك فانني سأرغب أن أقتل نفسي »

« اذا كان هناك أقل فرصة لإنقاذ حياتها ولم تقدم عليها فزعتقد أنني سأقتلك »

« واذا حاولت اجراء العملية ولم أنجح »

ونقلت نيستا بصرها بينها وبين وجه فاليب بعذابه الشرس ووجه كارل بشحوبه الغريب ، وبدأ ذهنها يسأل : من يكون ؟ من يكون هو حقيقة ؟ ثم عرفت . تذكرت أن كارول ذكرت لها مرة أن جراحا واحدا كان يستطيع إجراء مثل هذه الجراحة الاختبارية . جراح شاب لامع لام نفسه على خطأ لم يرتكبه ثم اختفى . هل حدثت المعجزة ؟ وهل هو هذا الطبيب الذي في خواماسا الآن ؟ وقالت بهدوء : « كارل ، إنني لاأعرف الكثير عن العملية الأخرى التي تتكلمان عنها ولكن اذا كنت تشعر بأن عليك دينا يجب أن تدفعه فهذه هي الفرصة لتدفع الفدية عن نفسك »

« لقد قتلت مرة ! ويمكن أن أفعل الشيء ثانية »

« ستموت اذا لم تحاول إجراء العملية »

وكانت كلمات نيستا الهادئة هي التي أقنعته في النهاية فظل صامتا لحظة طويلة بينما أرهف الاثنان الآخران آذانهما لسماع الكلمات التي جاءت متباطئة : « حسنا سأقوم بالجراحة »

وكان ضغط الصداع مازال أثره على وجهه لكنه بدأ أكثر تحكما في نفسه بعدما اتخذ القرار واستطرد قائلا :« سأحتاج الى أدوية نادرة وباهظة الثمن للغاية»

واتجهت عيناه الزرقاوان غير المعبرتين نحو فاليب وقال :

« تذهب الى جامعة البحوث الطبية إنه المكان الوحيد تقريبا حيث تستطيع الحصول على الدواء وقد تلقى صعوبة في الحصول عليه لأنهم قد لايوافقون على إعطائك ولو كمية ضئيلة منه ما لم تقنعهم بأن الحالة بالفعل طارئة »

« سأحضر الدواء »

وأخذ فاليب قطعة الورق التي كتب كارل عليها اسم الدواء وفي الحال أغلق يده حول ذراع الطبيب الشاب قائلا :

« لاتقلق يا كارل سوف تنجح من أجلنا جميعا . من أجل نفسك ولكن

أكثر من أي شيء آخر من أجلها سوف تنجح »

ثم إنصرف وأغلق الباب خلفه ونظرت نيستا الى الجراح الشاب الذي كان يستعد هو أيضا ليتركها وسألت« كيف يستطيع أن يعودفي الوقت المناسب؟ »

« سيتصل من الراديو من القصر ثم يطير الى هناك . وسيكونون حتما قد أعدوا الدواء وأخذوه اليه في المطار »

« ولكن العملية ، قلت أنه يجب إجراؤها فورا »

« لن أستطيع الانتظار حتى يعود سأجري العملية في الحال إنها فرصة العمر اذا ظلت حية بعد العملية فان الدواء الذي طلبته سيجعلها تشفى »

« وهل سيستطيع فاليب أن يحصل عليه ؟ »

« اذا كنت أعرف فاليب فانه سيحصل عليه »

« أجل فاليب سيحصل عليه »وعاد فاليب بعد ساعات مرهقا ولكن بالأدوية التي كان كارل طلبها ومنها العقار النادر وأخذت منه ممرضة اللفافة فى الحال واختفت بعدما تركته مع نيستا وهزت نيستا رزسها للسؤال الصامت في عينيه وقالت : « مامن أخباربعد يا فاليب لقد أجرى كارل العملية . أو أنه مازال يجريها لم أسمع شيئا على الاطلاق »

« أجرى العملية بالفعل ! »

« كان من الضروري اجراؤها في الحال ، اذا كانت هناك فرصة على الاطلاق »ثم أضافت محاولة أن تمنح ذهنيهما معا بعض الراحة :

« أخبرني عن كارل ماذا حدث له ؟ »

« كارل جراح لامع للغاية لكنه سمح لما حدث بأن يحطم ثقته بنفسه ، كانت أخته تعاني من ورم في المخ أصابها بالشلل . ورأى كارل طريقة يستطيع بها استئصال الورم برغم أن أكثر الجراحين أكدوا استحالة ذلك وأقنعته أخته بأن يجري العملية وفعل وماتت . ولام كارل نفسه وهجر الجراحة رغم أنها لم تكن غلطته ولكنها كانت إحدى تلك الأحداث غير القابلة للشرح حينما لايعيش المريض لغير ماسبب ظاهر وعندما قابلته كان يعيش منعزلا في قرية جبلية صغيرة » وقطع كلامه عند ذلك الحد وأخذ يذرع الحجرة في قلق ثم ظهر كارل ، كان شاحبا ومجهدا ولكنه منتصر .

وهمس كارل : « سوف تعيش »

١٠ ـ لمن زينة المدينة ؟

سبحت كارول بهدوء وبطء من عالم الهذيان الى عالم الوعي ، أحست وسط الظلمات أن الألم تلاشى وأنها عادت الى التحقق مما حولها ، أول شيء تبينته أن رأسها كان ملفوفا بالأربطة ، بدا ذلك غريبا ففتحت عينيها قبل أن تمد يدها لتتحقق وكانت مفاجأة أن ترى كارل ونيستا يراقبانها وهمست بصوت ضعيف : « مرحبا »

وردت نيستا بنعومة : « مرحبا بك أيضا »

ولم تتذكر كارول أي شيء غير الألم الذي داهمها وتساءلت عن سبب نظرة السرور على وجهي نيستا وكارل . كارل في تعريف التغيير الذي حدث له وقالت لهما : « تبدوان غاية في السرور من الحياة »

وأجاب كارل : « لدينا من الاسباب مايدعو الى ذلك »

وابتسم عندما رفعت يدا ضعيفة وتحسست أربطة رأسها وأنذرها قائلا :

« دعي تصفيفتنا لرأسك وشأنها »

حينئذ فقط انبثقت الحقيقة أمامها وقالت : « كارل أجريت العملية ! »

« أجل يا عزيزتي وسوف تعيشين والآن عودي الى النوم ولاتقلقي »

وكانت كارول على وشك أن تقول أنها لاتريد أن تنام على الاطلاق وأن لديها الآف الأسئلة تريد الاستفسار عنها عندما بدأت عيناها تغلقان تلقائيا واستغرقت في الحال في نوم عميق . ولم تعلم إلا بعد مضي فترة طويلة بحالة الهذيان التي انتابتها حينما لم تستطع أن تتعرف على أحد ووقفت متأرجحة على حافة الموت في حالة خطيرة رغم الدواء الخرافي الذي حارب لرتقاذها مقاوما الصدمة التي تنجم للجسم عن مثل هذه العملية .

وعندما فتحت عينيها من جديد كانت ممرضة داكنة هيفاء تقف بجانبها مبتسمة وسمعتها تقول شيئا بالبرتغالية لكنها سرعان مااستغرقت في النوم من جديد . .وعند صحوتها الثالثة كانت نيستا بجانبها وفي هذه المرة لم تشعر

كارول بالرغبة فى العودة إلى النوم ثانية، كما كانت فرحة لاحساسها بأنها أقوى كثيراً من قبل .

ورحبت با نيستا قائلة :

« استيقظى يا ذات الرأس النائم ، ظننا أنك ستصابين بمرض النوم ».

وابتسمت كارول لأنه كان من الرائع للغاية أن تعرف أنها سوف تعيش . وقالت :

« كا ذلك سيصبح سوء تقدير منى كل ما فعله الجميع من أجلى ».

وبطرف عينها رأت شخصاً آخر يقترب ، وأدارت رأسها لترى كارل فى ردائه الأبيض يبدو شخصاً جديداً ، أكبر سناً وسألها :

« كيف حالك »؟

« أحسن كثيراً ».

ونظرت إليه بالعرفان الذى لم تستطع أن تترجمه عيناها إلى كلمات ، وقالت :

« لم أشكرك بعد يا كارل ».

« أن تعيشى هو الشكر الكافى لى يا عزيزتى ، لفترة ظننا أنك قد تفلتين منا ».

نعم لفترة أوشكت بالفعل أن تنتهى ، وكان يعلم أن العناية الطبية وحدها لم تكن هى التى أنقذتها ، ولكن إرادة الرجل الرمادى الوجه التى لا تقهر ، الرجل الذى جلس بجانبها فترة طويلة ، صامتاً لا يتحرك ، ناضلت ضد الموت وكسبت حتى أصبحت شعلة الحياة الصغيرة ، التى كانت ترفرف على حافة الإنطفاء ، من القوة بحيث تستطيع أن تتوهج من تلقاء نفسها .

وهمست كارول :

« يبدو ذلك أشبه بمعجزة ».

وقالت نيستا :

« إنها معجزة ، ولكن بطريقة مختلفة عما تعنين ».

وابتسمت فى عينى الفتاة المتسائلتين واستطردت :

« تذكرين ذلك الجراح الذى ذكروه لك فى المستشفى ، الجراح الذى قالوا عنه أن الوحيد القادر على إجراء العملية »

« ذلك ... الذى إختفى »؟

واتجهت عيناها المدهوشتان إلى الرجل فى المعطف الأبيض . وقالت :

« كارل ... إنه أنت »!

وقال بهدوء :

« نعم يا عزيزتى ، ذلك الجبان الذى انسل بعيداً ليختفى كان كارل كريستين ، لقد رددت لى الحياه بقدر ما رددت لك » .

ووسط تحققها الرائع من أن حياة كاملة جديدة أمامها ، فاجأتها فكرة مزعجة ، وسألت :

« هل كنت أهذى »؟

« قليلاً » .

كان كارل يبتسم ، فسقط قلبها ، خشيت أن تكون قد باحت بسر حبها لقالبيب أثناء هذيانها ، وعادت تسأل وهى فى ذعر

« هل قلت شيئا فظيعا ؟ »

ولكن نيستا ابتسمت وهزت رأسها وقالت :

« كانت كلها أشياء جديرة بالاحترام رغم أنك قلت رأيا جارحا في حق طبيب في مستشفى سان كريستوفر »

وأخفت كارول ارتياحها بالضحك وقالت : « في الغالب كان الدكتور هندريكسلي المسكين فما من أحد منا كان يحبه »

وصمتت برهة ثم قالت : « هل حدث شيء طريف أثناء غيبوبتي ؟ زنني متأكدة أنني لابد أن أكون قد افتقدت شيئاً »

وقالت نيستا : « حسنا فاتك منظر فاليب وهو أشبه بالنمر السجين . إن سيد خواماسا البارد نزل من برجه ، وهكذا لقي جزاءه »

وتذكرت كارول جيدا مناسبة أخرى نزل فيها من قمة جبله وأظهر نزعة انسنية ولكنها بسرعة أقصت الفكرة المثيرة عنها فمع أن المعجزة حدثت وستبقى على قيد الحياة فالموقف بينهاوبين فاليب ماكان له أن يتغير .

وقالت بأسى : « أعتقد أنني سببت ازعاجا للجميع »

ثم تبينت في تلك اللحظة فقط معنى ماقالته نيستا وأسرعت تقول :

« تقصدين أن فاليب عاد الى الجزيرة ؟ »

وأجاب كارل :

« عاد بزسرع مما كان لمخلوق أن يتوقع ، مضى عليك هنا ثلاثة أيام فقط »

وأضافت نيستا :

« جاء بك فاليب الى المستشفى عندما أغمي عليك تحت بصره »

ورمقتها كارول بنظرة دهشة وتساءلت وهي لاتتذكر أنها رأته :

« هل حدث لي ذلك ؟ »

وابتسمت لها نيستا بمودة وقالت : « ألا تتذكرين ؟ لقد تصورته طيفا وقلت أنه في الواقع في البرتغال »

وقالت كارول باسى : « أوه ، لاأتذكر شيئا ، أعتقد أن ذلك كان بتأثير القرص »

« هل قلت شيئا فظيعا ؟ »

وللمرة الثانية فطنت نيستا الى ماكانت الفتاة تعنيه وهزت رأسها مطمئنة وقالت : « مامن شيء ، رغم أنك كنت من قوة الأعصاب بحيث قلت لفاليب أن لونه يبدو مضحكا وسألت اذا كان مريضا ، كان ذلك بعد أن

أعلنته أنك مهددة بالموت في أية لحظة »

وضحك كارل قائلا : « يبدو أن فاليب الرصين اهتز حتى أعمق أعماقه »

وتساءلت كارول في دهشة واضحة : « هل كان كذلك حقا ؟ »

وابتسم لها كارل وقال ليغيظها :

« أى رجل كان لابد أن يهتز وبخاصة فاليب ولكن لاتقلقي لقد غفر لك وعندي تعليمات بأن أنقلك الى القصر بمجرد أن تستطيعي الحركة »

وقالت نيستا : « لسبب مايريدك فاليب في القصر فانه غالبا يعتقد أنني لست بعد قوية قوة كافية للعناية بك »

« أنت بالفعل لست قوية بما فيه الكفاية ، يبدو أنني أتسبب في الكثير من المتاعب »

« هراء ، ساكون معك لمرافقتك أو لحراستك سمها بما شئت حتى تستطيعي الاستسلام هذه المرة بدون قتال . لن يؤذيك ذلك خاصة بعد طيرانه الى العاصمة ليحضر دواءنا العجيب لك »

وفتحت كارول عينيها على اتساعهما عندما أخبروها عن تفاصيل تلك الليلة الرهيبة فوخزها ضميرها حينما فكرت في الثمن الذي لابد أن يكون فاليب قد دفعه ثمنا للدواء النادر وتبدد ترددها في الذهاب الى القصر رغم ماكانت تثيره في نفسها ذكرى مقابلتها الأخيرة مع فاليب في حدائق دهسكالي ، من مشاعر الاضطراب وصار كل ماتريده في تلك اللحظة هو أن توافق على طلبه مهما كان السبب المستتر وراءه . وفي الايام التالية استقبلت كارول زوارا عديدين ، كانت أولهم ماريتا أكواراس وأمها. ولم تكن تعرف أن أهل الجزيرة أحبوها، حتى ذوو الكبرياء المترفعة من الأرستقراطيين. وشخص [illegible] لرؤيتها، واكتشفت أن غيابه يؤلمها أكثر مما تعتقد. فبعد ما فعله فاليب ليلة العملية، كان من المؤكد أن يأتى لزيارتها، ولكن من الواضح أنه قنع بالسؤال من بعيد عن صحتها. وعندما علمت أنه استدعى فجأة الى البرتغال لعمل عاجل، اكتشفت أن بهجتها الجديدة بالحياة وهنت بعض الشيء لعلمها بأنه لم يعد فى الجزيرة قريبا منها، وحينما سمعت أن سيليستينا أيضا رجعت الى البرتغال، لم يبق لديها شك فى الهدف، حتى أن قلبها غاص بين ضلوعها. ولم تكن قد فكرت بعد فيم ستفعله بعد أن يتم لها الشفاء، سكون من الممكن طبعا أن تعود الى مستشفى سان كريستوفر لكنها كانت

تكره مغادرة خواماسا. لقد نما حب الجزيرة في قلبها، ليس فقط لأنها كانت موطن فاليب، ولكن لأنه كان يوجد شيء ما في دفئها، وألوانها، وناسها ومرح أجوائها، يروق لها دائما أيا كانت الظروف. ولكي تملأ فراغ وقتها، قررت كارول أن تتعلم البرتغالية، كان ذلك سيصبح ضروريا بالتأكيد، اذا استقرت على البقاء في الجزيرة. وعرض عليها كارل أن يعلمها، لكنه علق وفي عينيه الزرقاوين بريق واضح أن فاليب سيغضب اذا تكلمت لغته بلكنة ألمانية شاذة. وأطلقت كارول ضحكة وسألته: « ماذا سأفعل يا كارل ،عندما غادر المستشفى ؟»

« طبعا ستذهبين الى القصر.»

«أقصد بعد ذلك، لاأستطيع أن أبقى هناك طويلا. لاأستطيع أن أعرف لماذا يريد مني فاليب أن أذهب الى هناك أصلا ؟»

« ألا يمكنك حقا ؟»

ورمقها بنظرة غريبة، ثم أضاف مبتسما: « في الغالب ليرى أنك تطيعين الأوامر ولا تجهدين نفسك.»

« انه آخر شخص يفعل ذلك، فغالبا سأعصي أوامره كمسألة مبدأ.»

ثم قالت كارول متتبعة الموضوع الذي في ذهنها: « عرضت على ذات مرة عملا معك هنا في المستشفى، هل مازال العرض قائما؟الآنسة بروتون لن تكون بحاجة الي.»

وقطب كارل جبيه بطريقة جعلتها تتساءل عما كان يفكر فيه،ثم قال:« هل نترك هذا الأمر حتى تغادري القصر؟ قد تقررين تفضيل شيء آخر.»

«أي شيء آخر يمكن أن يكون؟ انني إم سأبقى في خواماسا، أو سأعود الى انكلترا. واذا بقيت هنا، فلا أستطيع الا العمل بالتمريض.»

وبسرعة حول كارل الحديث، تاركا كارول في غموض [illegible] حتى مررت أنه ى الغالب كان يعنى أنها قد تفضل الاشتغال بالتمريض الخاص. وعرضت عليها مريضة برتغالية شابة في لمستشفى ذات معرفة قليلة بالانكليزية، أن تساعدها على تعلم البرتغالية، حتى أنها في زيارة ماريتا التالية استطاعت أن ترحب بالفتاة بهذه اللغة. وقالت لها ماريتا في زيارتها التالية:

« تقدمت بسرعة ولهجتك حلوة جدا، سيسر فاليب لذلك.»

ولم تعد كارول تعبس للحقيقة الواضحة التي كانت تؤكد أن كل شيء يقع في الجزيرة يقاس بمعيار ما اذا كان سيعجب فاليب أولا بعجب [illegible] ولكنها

ظلت تضحك من نفسها لاقرارها بذلك دون غضب. وبحذر سألت: « هل مازال في البرتغال؟».

« لكنه سيعود قريبا.»

« وابنة عمك سيليستينا؟ هل ستعود هي أيضا قريبا؟»

« كلا...أعلنت خطبتها، وستتزوج عن قريب.»

« لكنها ستعود الى الجزيرة حينما تتزوج، أليس كذلك؟»

كان ذلك واضحا منذ البداية، همست كارول بذلك لنفسها ولكن كان من المؤلم للغاية سماعه أخيرا بكلمات تؤكد أن خطبتهما قد أعلنت لابد أن عيني سيليستينا الداكنتين كانتا تبتسمان الآن زهوا لأنها فازت أخيرا بحب فاليب . وقالت ما ريتا : « ولماذا تعود الى خواماسا ؟ »

وقطع صوت ماريتا أفكارها الحزينة :

« أتساءل إعتقدت أنها حينما تتزوج فاليب سيعيشان هنا »

« لكنها لن تتزوج فاليب »

وظلت كارول ساكنة بتأثير الصدمة ونظرت اليها ماريتا كما لو كان من المفروض أن تعرف طول الوقت أن شيئا من ذلك لم يكن ليحدث وقالت متلعثمة : « ولكنني إعتقدت ، أقصد الجميع يتوقعون زواجهما »

« في وقت ما نعم ، ولكن بسرعة أصبح واضحا أن فاليب يرغب في الزواج من فتاة أخرى . وهو في حالة حب شديد والجزيرة كلها مسرورة لذلك ، فلفترة طويلة ظل يزدري الحب »

ولم تستطع كارول أن تقاوم الابتسام كان واضحا أن عدم وقوعه في الحب كان يعتبر خلقا منافيا لكونه برتغاليا . ولذا كان أصدقاؤه وأعداؤه على حد سواء فرحين لاكتشافهم أنه بشر رغم كل شيء . وشعرت بفضول لمعرفة الفتاة المجهولة ووجدت نفسها تسأل ماريتا :« هل الفتاة التي خطبها في البرتغال ؟ »

« إنه لم يخطب بعد ، إنها ستأتي قريبا الى القصر »

« أتوقع اذن أن أقابلها »

« هذا محتمل » سارت بهم السيارة في الطريق المزلوف من لورنزيتو ، ووصلت أخيرا الى الأعمدة الطويلة المزخرفة بشعار ألفيرو ريالتا التي كانت مزلوفة للغاية رغم أنها لم تمر من خلالها إلا مرة واحدة من قبل .

وظهر خادم في زي أخضر وفتح البوابة كالمرة السابقة لكنه هذه المرة انحنى

وابتسم للانسة بروتون وكارول ثم انطلقت السيارة بخفة فوق الممر الممهد الذي يؤدي الى القصر . عندما نزلت كارول من السيارة حانت منها التفاتة الى المدينة فذهلت لما رأته . وخيل اليها أن العيد يتكرر مرتين في العام أو إنها غابت عن الوعي شهورا طويلة وهاهو المهرجان يعود من جديد . لكن صوتا أليفا انتشلها من ذهولها واعاد نظرها نحو مدخل القصر . كان فاليب يقف هناك بملابسه البيضاء وعلى فمه ابتسامة تشع كالشمس . إلا أنه كان هادىء الوجه كعادته ولاتفضي ملامحه بأي شيء مختلف فكأنها رأته منذ قليل علما بأنه لم يكن في الجزيرة أبدا ولم يأت لزيارتها في المستشفى .

ورحب بها وبنيستا بأدب كبير ، ثم قادت إحدى الممرضات كارول الى غرفتها في الطابق العلوي لتستريح وصعدت السلم ودلفت الى غرفة نوم جعلتها تتسمر في مكانها وتسحب أنفاسها في نشوة بالغة .

كانت الأرضية من الرخام والسرير الضخم المزخرف مرتفعا فوق قاعدة ، وبقية الأثاث فاخرة تدل على ذوق ممتاز والنوافذ الطويلة تؤدي الى شرفة صغيرة مطلة على الحدائق التي يتوسطها حمام سباحة .

واذ رجعت من جانب النافذة وجدت الممرضة البرتغالية منتظرة لترى ما اذا كانت تريد شيئا ، لكنها صرفتها وعادت الى النافذة . كان منظر الألوان الجذابة في تلك الحديقة الرائعة لايغريها بالبقاء في غرفتها ، واستدارت وقد شعرت كأنها صبية شقية رزاء الفكرة التي طرأت ببالها فجأة .

وتسللت من الباب ووجدت طريقها الى السلم بسهولة وهبطته على أطراف أصابعها شاعرة بالذنب آملة ألا يخرج فاليب من إحدى الغرف . لكن أملها خاب وفوجئت به يطالعها على السلالم وهو يهز برأسه مستاء كأنها بالفعل طفلة شقية .

« الى أين أنت ذاهبة ؟ »

كان صوتها خافتا وعيناها تبحثان في وجهه عن شيء أعمق مما يدور في خلده لكنه قال بهدوء :

« رأيتك تنظرين الى زينة المدينة بذهول ، هل أدهشك شيء معين ؟ »

« آه .. حقا .. لماذا هذه الزينة ولم يمضي على العيد مدة طويلة ؟ هل هناك عيد جديد ؟ »

كان فاليب قد وصل الى حيث وقفت واعتلى موقعها بدرجتين من دون أن

ينزع يديه من جيبي سرواله الأبيض وبدا كأنه سيستمر في الصعود الى الطابق العلوي ،لكنه توقف ومازال الابتسامة الصافية واضحة على فمه وقال وهو يغرقها بنظرة حب عارمة كادت تجرفها من مكانها:« الزينة احتفال بخطوبتي !»

وفجأة زحف الى ذهنها ماجعل الشك يساورها اذ تذكرت شيئا قالته ماريتا وابتعدت عنه وقالت : « فاليب .. قالت ماريتا إنني سألتقي بالعروس في القصر وقالت أن الجزيرة كلها تعرف من هي »

وأطلق ضحكة ناعمة وقال : « التفتي ترينها ، إنها وراءك »

وكانت هناك مرآة كبيرة مثبتة في الجدار ، فلم تصدق كارول غرابة المصادفة ، كما لم تصدق أنها يمكن أن تقع في عناق يختصر كل كلمات وكل الألم الذي عبرته من أجل الوصول الى هذه اللحظة .

والتفت كلاهما ناحية صوت نيستا ورأياها واقفة على عتبة الباب وقد بدت مسرورة للغاية وقالت معتذرة :

« طرقت الباب ولكن الواضح أنكما لم تسمعاني »

وزلقت نيستا نظرة نحو الفتاة التي جاءت الى الجزيرة لتموت فوجدت فيها الحياة والحب وقالت« الجزيرة ستكون الآن أسعد حالا بعدما استقرت الأمور »

وسألت كارول بدهشة وقد صعقتها الحقيقة :

« تقصدين أن الجزيرة كانت تتكلم عني أنا ؟ »

فقالت نيستا متلعثمة :

« بعد سفره لإحضار الدواء كشف نفسه تماما ، وسعدت الجزيرة بهذا الكشف وكل ما أصبح مطلوبا الآن لإكماله هو إعلان خطبتكما »

وتراجعت نحو الباب قبل أن يستطيعا ايقافها .

وعاد فاليب الذي لم تكن لديه حصانة ضد المرح يضمها من جديد بين ذراعيه ولمست أصابعه العقد الفضي ذا الحلقات الأسطوانية ، العقد الذي كان يطلب حبا مثيرا وخطيرا ، حبا يطالب بالكثير ، ويعد بالعطاء وقال بنعومة :

« هكذا سيكون الحال بيننا ، هل تخشين الزواج من برتغالي يا حبيبتي »

« وكيف لي أن أخاف وأنا أحبك ؟ »

وكانت أجابة كارول بالبرتغالية لتؤكد له أنها فهمت ما قاله وأنها واثقة أن ما بينهما من حب سيدوم الى الأبد .

تمت